المجلة التاريخية المغربية



عدد 1

جانفي/كانون الثاني 1974

تونس

المجلة التاريخية المغربية

(للعهد الحديث والمعاصر)



عـــدد 1   جانفي / كانون الثاني 1974

تـونس

المجلة التاريخية المغربية

مـديـرهـا

عبد الجليل التميمي

الاشتراكات ومراسلات التحرير بالعنوان التالي :

عبد الجليل التميمي ـ 22 شارع سوفيل الوردية ـ حي الازدهار ـ تونس .

الاشتراك (عددان في السنة)

المغرب العربي	3 د. ت.
العالم العربي ، وفرنسا	40 فرنكا فرنسيا او 9 دولارات .
غير هاته البلدان	45 فرنكا فرنسيا او 10 دولارات .

الاشتراكات توجه الى الشركة التونسية للبنك ، المركز ، حساب جارى رقم 650 ـ 62 تونس عن طريق حوالة بنكية او حوالة بريدية او بطاقات اليونسكو النقدية .

● على الغلاف ، احد وجهي عملة ذهبية كتب عليها ، سلطان البرين وخاقان البحرين ، السلطان ابن السلطان ، وحيث نجد ذلك في كل العملات الذهبية والفضية التي ضربت في كامل ارجاء الامبراطورية العثمانية .

راجع بخصوص هذه الصورة : دائرة المعارف الاسلامية التركية ، ج. 10 ، ص . 631 ، الشكل رقم 42 ، استانبول ، 1966 .

● يتحمل كل باحث مسؤولية آرائه الشخصية .

● ساعد على نشر هذا العدد مركز البحوث الاجتماعية والاقتصادية بتونس وولاية القيروان .

● الطبعة الاولى ــ جانفي / كانون الثاني 1974 .

مطبعـــة الاتحاد العام التونسي للشغل

فهرس الموضوعات

محتوى القسم العربي

الصفحة

كلمتنا

يحظى علم التاريخ هذه السنوات بعطف المسؤولين والمثقفين الذين اولوه اهتماما ملحوظا ، وقد تعددت دعواتهم ونداءاتهم منوهة بهذا العلم وداعية المختصين الى كتابة تاريخنا علـى ضـوء معطيات بلادنا الجديدة .

ونحن ايمانا منا بوجوب المشاركة في مصيرية تاريخنا وحتمية تحملنا هذه المسؤولية ، قرر عدد من اساتذة التاريخ بجامعات المغرب العربى اصدار مجلة علمية تختص بتاريخ بلادنا الحديث والمعاصر ، وقد دعونا فى نفس الوقت اصدقاءنا من المختصين الاجانب فى تاريخ المغرب ، الى الانضمام الينا لنعمل جميعا بامانة العالم المدقق على خدمة البحث العلمى وتعزيز مجال التلاقح بين المؤرخين العرب ، مغاربـة ومشارقة ، والاجانب ، وتطعيم مدرستنا التاريخية الناشئة باسس وروافد جديدة لنضمن لها التفتح السليم والحتمى وحتى لا تكـــون حبيسة الاقليمية الضيقة والمفاهيم الخاطئة المرتجلة التى ما فتىء من يدعى التزعم فى كتابة التاريخ ، ببلادنا ، يروجها .

وقد لبى عدد من المؤرخين النزهاء دعوتنا ونحن نرفع هنا شكرنا للذين بعثوا الينا بدراساتهم او عبروا عن استعدادهم للمشاركة في نشاط المجلة المقبل ، ولا يسعنا الا ان نحيي فيهم قيمهم العلمية الثابتة والتى لا تخضع لغير منطق العلم والاخلاق يحدونا جميعا رغبتنـــا الصادقة في التعاون بين ذوى الاختصاص حيثما كانوا والكشف عن الحقيقة التاريخية التى يجب ان تكون فوق كل اعتبار فضلا عـن الاشخاص او المعاهد والاتجاهات ، ذلك اننا نؤمن ان العلم ليس احتكارا لشخص دون غيره او فئة دون اخرى او جنس دون آخر .

ان هدفنا هو خلق جو من التعاون النزيه البعيد عن المركبات والاحكام المسبقة والخصومات الشخصية ، كما اننا لسنا من هؤلاء الذين « يلعنون الظلام ولا يجرؤون على اشعال الشموع » . على ان المجلة سوف لن تنتصر لغير منطق الحق والعلم وسنعمل عـلى احترام آراء غيرنا ونفسح المجال لاقامة حوار سليم يشجع على تقريب وجهات نظرنا وفهم بعضنا بعضا ، كما ان المجلة سوف لن تلتـــزم بمذهب دون آخر ، وفى اعتقادنا ان كل عمل علمى سوف يساهـم بطريقته فى خدمة تاريخنا ، ونامل ان تلقى الاضواء على الانسان الذى اصبح مدار البحث وجوهره .

واننا لنامل ان تسد هذه المجلة فراغا معيبا في مكتبتنا التاريخية خصوصا وان بلادنا قد شهدت ، في ظروف وملابسات اخرى ، مولد المجلـــة الافـريقية (La Revue Africaine) والمجلـــة التونسيـــة (La Revue Tunisienne) ومجلة « هسبريس » (Hespéris) والتي تعد معينا لا ينضب للمؤرخ المغربي والتي لا يمكن اليوم لاي باحث ان يستغني عنها .

اما اللغات التي سنستعملها للمجلة فهي العربية والفرنسية والانجليزية ، غير اننا لضمان نجاعة وتلاقح المؤرخين ذوي الاتجاهات المختلفة بعضهم ببعض ، ندعو زملاءنا الذين يحررون ابحاثهم باللغة العربية ان يقدموا لنا موجزا باللغة الفرنسية ، واذا تعذر عليهم القيام بذلك ، فاننا نرجو منهم ان يوجزوا لنا ابحاثهم في في صفحة واحدة باللغة العربية وسنعمل من جهتنا عـلى ترجمتهـا الى الفرنسيـــة او الانجليزية ، والعكس بالعكس ، كل دراسة بالفرنسية او الانجليزية سوف ترفق بموجز لها باللغة العربية . كماانهيئةالتحريرراتضرورة وحتمية الاهتمام بنشر الوثائق ، ذلك ان منهجية التاريخ الحديثـــة تعطي الاهمية الاولى لاستغلال الوثائق ، وعليه سوف تخصص المجلة قسما من صفحاتها لنشر الوثائق الجديدة .

* * *

لابد لنا ونحن نقدم هذه المجلة الجديدة ، ان نشكر كل مـــن ساندنا وشجعنا وآمن معنا بهذا المشروع منذ اللحظات الاولى ، وعبر عن استعداده لمساعدتنا ، وقد اعترضت سبيلنا صعوبات وعراقيل مختلفة ، وتمكننا من التغلب عليها مضحين من اجل ذلك بانفس ما نملك منعمل ووقت ومال لاخراجهذه المجلة الى حيز الوجود ، مؤملين ان تستجيب لخدمة تاريخنا ، ولقرائنا الكرام على مختلف مستوياتهم العلمية واهتماماتهم ان يبدوا لنا اراءهم واقتراحاتهم لنعمل على تحقيقها باعتبار ان هذه المجلة مجلتهم ونجاحها نجاح للجميع ، ومن الله التوفيق .

المجلة

استغلال عظام المسلمين في تصفية السكر

مرسال أمريكي

بعد الاستيلاء على الجزائر سنة 1830 ، خاب أمل الفرنسيين عندما علموا ان البلاد التى قاموا بفتحها مؤخرا لم تكن أرض الذهب (El dorado) كما كان ينادى بذلك دعاة التوسع المغالين . وعندما نقلت الى فرنسا محتويات مخازن الداى وخاصة طرود الصوف، لم يبق شيء كثير لاستغلاله . وكان يجب ان يلتجأ الى القدرات الخيالية للعثور على مواد للتصدير يمكنها أن تبرر فى الحال استيطان القوات الفرنسية فى بلد بدأت المقاومة فيه تصبح عنيفة .

وبعد استقرار الفرنسيين ، وصل الى ولاية الجزائر عدد كبير من الأجانب المعوزين والذين كانوا يأملون الاستفادة من الوضعية . ومن ضمن هؤلاء ، المالطيون والمسيحيون الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من عربية الجزائر وحيث كانوا يأملون كسب عيشهم باعتبارهم الوسائط بين التجار الفرنسيين والشعب المسلم . على ان عمليتهم الجريئة كانت ولا شك استغلال القبور .

عرض هؤلاء المالطيون خدماتهم على رجال الصناعة فى مرسيليا والذين كانوا يحتاجون الى فحم العظام لتبييض السكر . وقد أظهروا استعدادهم لارسال عظام الحيوانات التى يحتاجونها . ولتستكمل حمولة البواخر بأقل التكاليف ، كانوا يجمعون العظام البشرية من المقابر (1) .

وقد نجحت العملية حتى اللحظة التى أعلمت فيها جريدة لوسمافور دو مرساى (Le Sémaphore de Marseille) قراءها فى مارس 1833 بهذه التجارة المشؤومة . ولما علم الطبيب سيقو (Dr. Segaud) بهذا الحادث ، أجرى تحقيقا من تلقاء نفسه فى الموضوع . وقد أرسل الى نفس الجريدة بالرسالة التالية حيث احدثت تاثيرا كبيرا : « مرسيليا فى 1 مارس 1833 . لقد علمت عن طريق الاشاعات ان عظاما بشرية استخدمت لصنع الفحم الحيوانى (Charbon animal) ، ومدفوعا بشعور العطف على الانسانية ، أردت اقناع نفسى الى اى درجة يمكن ان نثق فى مثل هذه الاشاعات . وقد قمت بزيارة الباخرة المدفعية لابون جوزافين (La bonne Joséphine) بقيادة ربانها النقيب بارصولا (Perissola) والقادمة من الجزائر حيث كانت حمولتها من العظام . وبعد أن قمت بفحص دقيق جدا لكمية العظام الموجودة ، تعرفت على بعض منها ثبت لدى انه من النوع البشرى ، وقد شاهدت عددا من الجماجم والسواعد وعظام الفخذ التابعة للمراهقين الذين دفنوا مؤخرا وحيث لم تكن خالية تماما من اللحم . وكان يجب ان لا يتساهل فى مثل هذه العمليات ، كما أن واجب السلطات المسؤولة منع الاستمرار فى تجارة رفات الانسان والتى يمكن ان تضم رفات زعماء فرنسيين وافريقيين على حد سواء ، وسوف يحصل من منع هاته التجارة عدة فوائد للمجتمع : ان

(1) (دار الوثائق الوطنية الفرنسية بباريس) ، A. N., F 80 - 443

الاخلاق والصناعة والسياسة سوف تكسب مغنما كبيرا ، وعليه اذا أمرنا الشعب باحترام الأموات ، فانه سوف يظهر احتقارا أقل للاحياء .

ان معامل تصفية السكر الموجودة لدينا سوف تكون غير مهددة بشعور الاشمئزاز والكره والذي اخذ يظهر باستعمال احد المواد البشرية لغرض الجودة، وسوف يمتد شعور الكراهية والاشمئزاز الى بقية المدن التي تمول من مصانعنا . وأخيرا فان سياسة مستعمراتنا في الجزائر ستكون أكثر جدوى اذا كانت أكثر لطفا مع أعدائنا العرب والبدو الذين وصل الى علمهم أخذ رفات آبائهم وسيكونون اليوم في حالة تعصب ديني يدفعهم الى القضاء على المساجين الفرنسيين وتقطيعهم اربا اربا .

واني لأرجو منكم أن تنشروا رسالتي هاته في صحيفتكم » .

وقد أمر وزير الحربية في الحال الوكيل المدني جونتيل دوبوسي (Gentil de Bussy) ان يجري تحقيقا في الجزائر وان يتخذ الاجراءات الفعالة لوقف هذه التجارة اذا ما ثبت صحة ذلك . وقد أجرى جونتيل تحقيقا في الحوادث : « لقد أعطيت الامر باخلاء مخازن التجارة من العظام التي اكتشفت هناك » كما أمر جونتيل رئيس شرطة الجزائر ومفتش الجمارك بالقيام بمراقبة دقيقة (2) . وعلى أية حال لم يقم بذلك الا باحتراز شديد حتى يتجنب الفضيحة (3) . كما وعد بانشاء مقابر حسب الجنسيات وبمقربة من المدينة ، على ان تكون خارجة عن المناطق الحربية حتى تتفادى مضار الاعمال العسكرية . على أن الوزير الذي أحيط علما بذلك كتب الى قائد القوات العامة بالجزائر امرا اياه أن يمنع في الحال هذه التجارة التي تسيء بشدة الى العقلية الدينية للمسلمين . على أنه يجب عدم اشاعة العقوبات المتخذة في هذا الصدد .

كما كتب الوزير الى الوكيل المدني طالبا منه الالحاح على التجار ليراقبوا عن كثب مموليهم كما يهددونهم ــ عند الحاجة ــ بمنع تجارتهم كلية . أما مكتب المهندسين فقد امر باقامة أسوجة حول المقابر (4) .

هذا وتوجه جونتيل دوبوسي الى الغرفة التجارية بالجزائر ، طالبا منها أن تساعده في معركته ضد هذا الجشع الذي لا يشرف عددا من التجار . وبتاريخ 19 مارس أعطت الغرفة التجارية ردا تسويفيا مظهرة أسفها كيف أن الطبيب سيقو قد أماط اللثام عن هذه التجارة وقد جازف بذلك لالحاق الضرر بمصانع تصفية السكر الفرنسية المزدهرة ، كما أنها تشك كيف أن المالطيين الذين جمعوا هذه العظام « قد جردوا من أي شعور ديني حتى يقترفوا مثل هذا الاعتداء على قبور غيرهم ، بحثا عن بقايا رفاتها ليتاجروا بها » .

هذا وقد حملت الغرفة التجارية بالجزائر ، الادارة مسؤولية هذه الوضعية ، لأنها لم تقم بواجبها على الوجه الاكمل : « كانت العظام البشرية

---

(2) **المصدر نفسه** f° 722 ، رسالة من الوكيل المدني الى وزير الحربية الفرنسي ، الجزائر ، بتاريخ 26 افريل 1832 .

(3) **المصدر نفسه** ، f° 474 ؛ رسالة من الوكيل المدني الى المرشال ، رئيس الوزراء ، الجزائر ، بتاريخ 21 مارس 1833 .

(4) رسالة من الوزير الى مكتب المهندسين ، باريس ، بتاريخ 19 مارس 1833 .

مبعثرة وبـارزة على الارض في حالة القيـام بأشغـال عموميـة ، وكان مـن المستحيل مراقبة كل ذلك » (5) .

أما حمدان خوجـة الذى أخـذ على عاتقـه التشهير باعتـداء الفاتحيـن وشططهم ، فقد سارع بارسال مذكرة الى وزير الحربيـة الفرنسى طالبا ايـاه اتخاذ عقوبات صارمة . وقد دافع وزير الحربية الفرنسى بضيق وصعوبة عن هذه القضية : « ان مدافن المسلمين كانت على جانبى مداخل أبواب المدينـة ، وكان يجب عبورها لشق طرق ضرورية من جهة ، ومن جهة أخرى ، لايجـاد محل عام لعمليات التـدريب العسكرى . وعليـه كان اتخـاذ ذلـك الاجـراء ضروريا . غير أنه نفذ بقليل من الرعاية وبالمبالغة فى الهدم بحيث أن سرعة تلك الاعمال لم تسمح بوضع حد لها فى الحال .

أما مسألة فتح القبور ، فقد أصبح من العسير عدم انتهاكهـا من طرف أشرار المسيحيين واليهـود ، حيث كانوا يترددون لأخذ الأحجار الثمينـة أو العظام ليرسلوها لصنع فحم العظام بمصانع مرسيليا » (6) . غير أن الوزير يؤكد أن هـذه التجـارة سوف تخضع لمراقبـة أكثر فعاليـة وسوف يعـاقب مرتكبوها أشد العقاب اذا ما تجددت .

لم يكن للحكومة الفرنسية يد فى هـذه الفضيحة ، غير أن وقوع هـذه التجارة المزرية ، يدل على قلة أخلاق رجال الصناعـة بمرسليا حينما تتعلـق المسألة بالعثـور على مـواد كانوا يحتاجونها آنـذاك ، كما يـدل على احتقـار السلطات العسكرية وقتها لشعور الرعايا الواقعة تحت ادارتهم .

وفى سنة 1836 ، عندما أخذ النقيب مارنكو (Marengo) المرمر من أكبر قسم من مقبرة الشمال وحوله الى مزرعة على يد السجناء العسكريين ، وجدت الحكومة الفرنسية نفسها مضطرة الى اتخاذ العقوبات . لقد وجدت في الجزائر دوما اختلافات عميقة بين الأهداف الانسانية لدى الـوزراء وأعمال السلطات المحليـة .

مرسال آمـرى
تعـريب ع. التميمى

---

(5) **المصدر نفسه ؛** رسالة من الغرفة التجارية الى الوكيل جونتيل ، الجزائر ، بتاريخ 19 مارس 1833 .

(6) **التميمي** ، عبد الجليل ، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، تونس ، الجزائر وليبيا من 1816 1871** ، ص 155 ، تونس ، 1972 .

التفكير الديني والتبشيري

لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر

عبد الجليل التميمي

خص المؤرخون الغربيون (1) ميدان التبشير بمئات الدراسات التى وقفوها فى الاصل على تفكير رجال الديـن المسيحى ونشاطهـم التبشيرى، أما مـواقف المسؤولين تجـاه هذه القضايـا فقد كانت تثار بعجالـة لشرح الملابسات السياسية والأحداث التاريخية التى هيات ظروف العمل التبشيرى ونجاحه أو العاملة على الحد منه.

يهـدف هـذا البحث اذن الى القـاء بعض الأضواء على التفكير الـدينى التبشيرى لعـدد من المسؤولين الفـرنسيين فى القرن التـاسع عشر تجـاه قضايا التبشير فى الجزائر، وعسى أن يساعدنا ذلك على فهم الابعاد الحقيقية لعملية التبشير والتى لم تقتصر على رجال الدين فحسب بل كان عـدد من المسؤولين يؤمنون بذلك.

ودون أن نستعرض علاقات الدول الاوروبية مع دول المغرب العـربى، نلاحظ أنه بداية من القرن التاسع عشر، تعددت المساعى الاوروبية المطالبة بالقضاء على حرية الدول المغربية واخضاعها بالقـوة لوضع حد لاسترقـاق المسيحييـن (2).

وأثناء ذلك انعقـد مؤتمر فيينـا (Congrès de Vienne) حيث عـاشت كواليسه جوا من الحقـد والكراهية ضد الدول المغربية الاسلامية سرعان مـا

---

(1) لقد كان اعتمادنا في هذا البحث على المراجع الاجنبية، ذلـك ان الغربيين قديمـا والامريكيين حديثا خصوا هذا الموضوع بعدد من الدراسات والتاليف تختلف أهميتها من مؤلف لاخر. أما المراجع العربية في هذا الموضوع، فلا أذكر الا كتابا واحدا هو كتاب: مصطفى الخالدي وعمر فروخ: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، الطبعة الاولى 1953، أما الطبعة الرابعة منه، بيروت، 1970 فقد خص المغرب ببعض الاشارات العابرة.

أما دور الوثائق، فقد عثرنا على بعض الوثائق بارشيف الخارجية الفرنسيـة وارشيـف الحربية الفرنسية بباريس، حيث عثرنا على تقرير هام، ترجم ونشر بهذا العدد. ص 33-39

أما الارشيف الوطني الفرنسي، فعلى الرغم من قصر المدة التي قضيناها بحثا في وثائقها، فقد تاكد لدينا وجوب عدم الاستغناء منها، راجع بهذا الخصوص:

MATHIEU, Bernard. Les Archives Nationales, source de l'histoire des missions, pp. 105-118, in, Nouvelle Revue de Science missionnaire, 7e Année, fasc. N° 2, Suisse, 1951.

ولعل وثائق الفاتيكان بروما هي التي تملك، ولا شك، اهم الوثائق في هذا الموضوع.

TESTA, le Baron de, *Recueil des traités de la Porte Ottomane avec les puissances étrangères, t. 1, pp. 410-413*, Paris, 1864.

(2) يذكر مثلا ان سدني سميث (W. Sidney Smith) قد قدم تقريرا بتاريخ شهر أوت 1814 الى الدول المسيحية (كذا) يستنجدها تظافر جهودها للقيام باشرف مهمة للقضاء على المغرب، وجاء في تقريره ذكر الدول أو الامراء المسيحيين (كذا) (لا الاوروبيين).

تضاعف بعد نجاح حملة اللورد اكسموث (L. Exmouth) على الجزائر سنة 1816 م ، وتعددت بعد ذلك محاولات الغزو البحرى الى وقوع حادثة المروحة واعلان فرنسا الحرب على الجزائر على لسان ملكها شارل العاشر .

ما هو الوضع الديني في عهد شارل العاشر ؟

ان رجوع الملكيين الى اعتلاء عرش فرنسا سنة 1815 م ، قد جعل طبقة النبلاء تعمل الى ارجاع رجال الدين وتعزيز الكنيسة (3) ، هذا فضلا عن العائلة المالكة التى كانت ترى نفسها محقة فى الدفاع عن الدين باعتبارها من سلالة الملك الصليبى سان لوى والذى لقى حتفه في تونس فى غزوة صليبية ، ولا ننسى تأثير الكاتب الفرنسي شطوبريان (Chateaubriand) على المجتمع الفرنسي عندما نشر كتابه : عبقرية المسيحية (Le génie du Christianisme) وحيث قال : « لا أرى حلا للمستقبل الا فى المسيحية وفى المذهب الكاثوليكى » (4) .

ونتيجة لذلك ظهرت عدة منظمات مسيحية للدفاع عن الدين بما تسنى لها من نشر وتوزيع للكتب المسيحية ، وتسهيل نشاط المبشرين وغرس علامة الصليب فى العالم (5) .

ما كان موقف الملك شارل العاشر ووزرائه من قضية الجزائر عندما قرروا القيام بالحملة ؟ ألم يكن للوازع الديني التبشيرى بعض التأثير فى ذلك ؟ ان دراسة تصريحات كيلرمون طونار (Clermont-Tonnère) وزير الحربية الفرنسى والجنرال (Bourmont) قائد الحملة الفرنسية وكذلك رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها البرنس دى بولينياك (Prince de Polignac) فضلا عن مواقف الملك نفسه ، تقرر بالفعل أنهم كانوا يأملون أن يعقب الانتصار الحربى على الجزائر ، ارجاعها الى حضيرة الدين المسيحى وفاء وتخليدا للقديس أغسطينوس (St. Augustin) وسانت سيبريان (St. Cyprien)

أو لم يصرح وزير الحربية الفرنسى : « ليس من الغريب أن نرى العناية الالاهية تناشد الملك ، وريث سان لوى ، لينتقم للانسانية والدين والاهانات الشخصية ، أولا يمكن عندما نقوم فى المستقبل بتمدين الاهالى ، تحويلهم الى مسيحيين ...؟ » (6) بل « ان العناية الالاهية ، فى رأيه ، خصته بهذا النصر فى الجزائر لجعل المواطنين مسيحيين » (7) .

---

(3) EMERIT, Marcel, *La lutte entre les généraux et les prêtres*, p. 68, in, Revue Africaine, 1er et 2e trim, 1953.

(4) CHATEAUBRIAND, *Mémoires d'Outre-Tombe*, t. 2, p. 931, Bibliothèque de la Pléade, Paris, 1951.

(5) SCHNERB, Robert, *Le XIXe siècle, l'apogée de l'expansion européenne (1815-1914)*, p. 59, 5e édition, Paris, 1968.

(6) PONS, Mgr A, *La nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Afrique, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, p. 106, Tunis, 1930.

(7) PICLET, Père J.B., *Les missions catholiques françaises au XIXe siècle*, t. 5, p. 24, Paris, 1925.

راجع ايضا :

GRUSSENMEYER, Mgr, *Vingt cinq années d'épiscopat en France et en Afrique, Documents biographiques sur son éminence le Cardinal Lavigerie*, p. 149, note no 2, t. 1, Alger, 1888.

ويشارك وزير الحربيـة ، رئيس وزراء فـرنسا الذى خلـع على الحملـة الفرنسية على الجزائر صبغـة صليبية ، معلنا أن سقوط الجـزائر فى أيـدى الجيش الفرنسى سيجلب أجل الخدمات وأكبر الفوائد للمسيحية جمعاء (8).

أما الملك شارل العـاشر ، فقد أعلن بوضوح فى خطـاب العرش الملكى بتاريـخ 2 مارس 1830 م أن الهـدف الـذى يـرمى الى تحقيقـه من الحملـة الفرنسية ، يجب أن يرضى شرف فرنسا ويرجع ، بفضل العناية الالاهية ، بالفائدة على المسيحية (9) .

لكن موقف الملـك شارل العـاشر سيتضح عندما نـدرس تصريحـات ونشاط الجنرال بورمن ، قـائد الحملة الفرنسية ، ذلك أن هذا الاخير كـان يتصرف حسب تعليمات حكومته .

اصطحب الجنرال بـورمن معه ستـة عشر قسيسا ، كانوا قد رافقـوا الجيش الفـرنسى وكـان أحدهـم الأب زكـار السورى وأخ بطريـك بيـت القدس (10) ، ولا شك أن وجودهم لم يكن بمحض الصدفة ، بل يدل على اختيار أساسى ، والذى يؤكد ذلـك أن الجنرال بورمن عندما سقطت مدينـة الجزائر ودخلها منتصرا صرح لهـؤلاء القساوسة : « انكم أعدتم معنا فتـح الباب للمسيحية فى افريقيـا ، ولنأمل أن تينع قريبا الحضارة التى انطفـأت فى هذه الربوع » (11) .

هل هذا التصريح يتماشى مع روح المعـاهدة التي أمضاها بورمن مـع الداى حسين والقاضية « باحترام الديانـة الاسلاميـة وحريـة ممارستها ، وكذلك عدم مس حريـة مواطنى الولايـة على اختلاف طبقاتهـم لشريعتهـم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم » ؟ (12) .

ان الجنرال بورمن الذى أخذ على نفسه وعد الشرف باحترام المعاهدة قد طلب بعد ستة أيـام فقط من عقدهـا ، أن تقـام صلاة دينيـة (Te Deum) فى داخل القصبة (13) ، فى نفس اليوم الذى كان فيه الملك شارل العاشر هو الآخـر يحضر بنفسه صلاة مسيحية فى كنيسة نوتـردام (Notre Dame) بباريس ليشكر العناية الالاهية على هذا الانتصار الكبير (14) .

يصف لنا كاتب الجنرال بورمن الخاص دلت دومنسيل (D'Ault-Dumesnil) هذا الحفـل الديني بقولـه : « أقيمت هذه الصـلاة فى الساحـة الرئيسيـة للقصبة ، ان تحية العـالم قد تراءت لنا وسط هـذه القلعة التى بناها أبنـاء

---

(8) JULIEN, *Charles-André*, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, p. 40, Paris, 1964.

يذكر ان الملك شارل العاشر كان مقتنعا بوجوب حليف مسلم له ، ولو اداه ذلك الى اعلان حرب مقدسة ، ولم يذكر لنا المؤلف الوثيقة او المرجع الذي جعله يعتقد بهذا الرأى ، ولا نرى لزومـا لدحضـه .

(9) COOLEY, *John. K*, *Boal, Christ and Mohamed, religion and revolution in North Africa*, p. 168, U.S.A., 1937.

(10) PONS, Mgr. A, *op. cit.*, p. 2.

(11) DOPIGEY, *Souvenir de l'Algérie*, p. 104, cité, in, Pons Mgr. A, *op. cit.*, p. 4.

(12) TESTA, Le Baron de, *op. cit.*, pp. 466-467.

(13) PONS, Mgr. A, *op. cit.*, p. 3.

(14) TOURNIER, Le Channoise Jules, *La conquête religieuse de l'Algérie*, 1830 - 1850, p. 50, Paris, 1930.

محمد ضد شعوب المسيح ، وقد ترددت عبارات الانجيل في هذه الاماكن التي ما زالت حافلة بذكريات الاسلام » (15) .

ماذا يعني هذا الانتصار العسكري الفرنسي في الجزائر بالنسبة للجنرال بورمن ؟ أمر الجنرال في اليوم التالي للاحتلال بوضع علامة الصليب على أعلى مبنى بالمدينة ، الشيء الذي جعل أساقفة فرنسا يحلمون باعادة الكنيسة الافريقية (16) ، بعد أن حطمت المدافع الفرنسية هاته الاسوار التي كانت قد منعت منذ أمد بعيد، كل محاولة لتمسيح شمال افريقيا (17).

ان بورمن وبقية المسؤولين العسكريين (18) كانوا يجهلون المعطيات الاجتماعية والتاريخية للجزائر ، وعليه كانوا يشعرون بأن واجبهم هو القضاء على بربرية هذه الشعوب واسلامها واحلال المسيحية مكانها حتى يتم تمدينها ، وأنه « وجب ضم المستعمرة الجديدة تحت راية الصليب » (19) وعلى هذا الاساس أمر الجنرال بورمن بتحويل الجوامع الى كنائس والغاء شرعية الاعياد الدينية الاسلامية (20) ، وافساح المجال للمبشرين لارجاع هذا الشعب الى حضيرة الدين المسيحي وفاء للماضي وخدمة للانسانية .

ان انتصار الجيش الفرنسي على الجزائر قد ألهب المشاعر الدينية ، وأثار الشعور الصليبي لدى الملك شارل العاشر وجعله يتطلع الى تونس ، والا كيف يفسر تحويل فيلق من البحرية الفرنسية ، بعد أيام فقط من سقوط الجزائر ، الى تونس ، ليفرض على واليها حسين باشا باي ، عقد معاهدة تنص احدى بنودها **السرية** على اقامة تمثال وكنيسة في المكان الذي لقى فيه الملك سان لوي حتفه في تونس ! (21) .

---

(15) PONS, Mgr. A, *op. cit.*, p. 3.

(16) PICLET, *op. cit.*, t. 5, p. 57.

(17) IBID, p. 24.

(18) *Ibid*, p. 51 يذكر بيولي (Piolet) ان الجنرال دوماس (Daumas) كان يعتقد أن هذا الشعب قد قبل الاسلام غير أنه لم يحتضنه وتزيا بالعقيدة كما يلبس برنوسه غير أنه قد حافظ مع كل ذلك على تركيبه الاجتماعي القديم وتوشيم سيماء وجهه تظهر على الرغم منه علامة الصليب .

(19) COOLEY, *op. cit.*, p. 168.

(20) RIANCEY, Charles, *De la situation religieuse de l'Algérie*, pp. 3-4.
لا يوجد تاريخ لطبع الكتاب .

(21) أرشيف وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية بباريس
(Archives du Ministère des Affaires Etrangères à Paris), Tunis, N° 1. 1830 - 1831.

نقتطف الفقرات التالية من الرسالة التي وجهت الى قنصل فرنسا بتونس بتاريخ14 جويلية 1830م « في الوقت الذي انتصرت فيه جيوشنا في افريقيا للانسانية والحضارة ، فان الملك لايمكنه أن ينسى باشفاق . . . أن أحد أجداده اللامعين قد قام قرب هذه السواحل ، بكل شرف ومجد ؛ غير أن النجاحلم يحالفه ، لتحقيق هذا الهدف والذي خصت العناية الالاهية به ملكنا اليوم ، وذكرى انتصاره تكون خليقة به وحقيقا بها اذا اقام لجد سلالة البور بن (Bourbons)تمثالا ، يذكر بالاماكن التي كانت مسرحا لمعاركه الاخيرة ولمن حضر حتفه . . . وعليه بفضل عنايتكم ستنفذ مارب الملك ، وتفضلوا بزيارة الساحل القريب من آثار قرطاج وتعيين معسكر سان لوي بالاستعانة بمؤرخي الحملة الصليبية والتقاليد التي مازالت حية والتي يمكن أن تساعدهم على ذلك . . . اختاروا المكان اللائق والكافي لاقامة البناء الذي يرغب فيه الملك وتطلبون من الباي تسليم هذه الارض الى الابد الى العائلة المالكة على أن يضبط ذلك ويضمنه معاهدة تكون بمامن من الاعتداءات والاهانات . . . » .

راجع ايضا :
GANDOLPHE, Pierre, *Saint-Louis de Carthage* (1830-1850), pp. 269-307, in, Cahiers de Byrsa, N° 1, Paris, 1950.

بماذا يفسر هذا النشاط الحثيث بكل من الجزائر وتونس وهذه التصريحات الصادرة عن عدد من المسؤولين ان لم تترجم عن مدى ارتباطهم بالدين المسيحى وايمانهم به وشعورهم بأن عليهم واجبا حضاريا تجاه هذه الشعوب البربرية وحيث يجب ارجاع ، باسم الحقوق التاريخية ، الكنيسة الافريقية الى هذه الربوع .

الا أن الجنرال بورمن الذى عقد العزم على تحقيق ذلك ، سرعان ما تخلى عن الجزائر بعد قيام ثورة جويلية سنة 1830 م بفرنسا وتعويضه بالجنرال كلوزال ، ومعنى هذا أن الحكومة الفرنسية التى وجدت نفسها أمام قضية شائكة وشعب بدأ يقاوم المحتل ويدافع بكل عنف وقوة عن دينه الذى مس ، لم تتبن سياسة التبشير فى الجزائر ، خصوصا وقد بدا لها استحالة ذلك فى السنوات الاولى للاحتلال الفرنسى ، غير آن ولاتها فى الجزائر عملوا على الحط من المقدسات الاسلامية كالسير قدما فى تحويل أجمل المساجد الى كنائس ومستشفيات وملاجىء ، والغاء الاحباس والحاقها بالادارة الفرنسية وتحويل قبور المسلمين الى طرقات عمومية وارسال رفات الاموات الى مرسيليا لصنع فحم العظام (22) ، وغير ذلك من العوامل التى آثارت استياء الشعب الجزائرى .

وعندما آخذ حكم الفرنسيين فى الاستقرار بالجزائر شجعت الادارة الفرنسية بادىء الامر عددا من المرتزقة المتوسلين الذين لفظتهم شوارع اوروبا والذين يحدوهم حب الاستغلال والاثراء على القدوم الى الجزائر وتكوين جالية أوروبية . وقد نادت هذه الجالية ، بسند من القواد العسكريين الذين ما زالت النخوة النابوليونية تشدهم الى عظمة وتفوق الجنس الفرنسى ، بالعمل على طرد السكان المحليين من السواحل الى الصحراء أو العمل على تمدينهم وتحضيرهم باتباع سياسة الاندماج والذوبان لخلق شعب فرنسى جديد (23) . وكان أعضاء جمعية « فرسان الصليب » يدعون أن لهم عقيدة أرثودكسية ويتمنون جلب الشعوب الى الاخلاق المسيحية (24) . أما الكونت دى بريفازاك (Comte de Brivazac) فكان يمدح الديانة المسيحية التى حسب رأيه : « لا يمكن أن يعوضها شىء آخر » (25) .

وقد كانت الجالية الاوروبية تعتقد أن الدين هو العائق الوحيد بينها وبين المسلمين ما دام الجهل والبربرية تسودان هذه الشعوب . وقد بلغ الصراع أشده بين الفريقين خصوصا فى كل ما يمس المعطيات الاخلاقية والدينية . وقد طلب بادىء الامر عدد من أنصار الكنيسة بحرية ونشر الدين المسيحى فى هذه الربوع الجديدة ، غير أن حكام الجزائر لم يؤيدوا فتح جبهة خطيرة فى وقت كانوا يكابدون فيه الامرين من صراع الحاج أحمد باى قسنطينة والامير عبد القادر وغيرها من الحركات الثورية فى طول البلاد وعرضها .

---

(22) **التميمي** ، عبد الجليل : **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، تونس الجزائر وليبيا من 1816 الى 1871** ، ص 146 — 166 ، تونس ، 1972 ، وكذلك : JULIEN, *op. cit.*, p. 91.

(23) كانت الماسونية تدعو سنة 1834 الى نشر الحضارة والافكار الفرنسية بافريقيا وتثقيف العرب والعمل معهم على بعث نوع من الوحدة العائلية لتكوين شعب فرنسي جديد .

(24) YACONO, Xavier, *Un siècle de Franc-Maçonnerie Algérienne 1785-1884*, p. 38, Paris, 1969.

(25) *Ibid*, p. 77.

ففي عهد حاكم الجزائر العام الجنرال درووای درلون (Drouet d'Erlon) سنة 1836 م ، وقد طالب الملك ووزراؤه بالقيام بحملة ثانية للقضاء نهائيا السلطة الفرنسية حمايتها . وقد أمر الوالي بنقلها الى مرسيليا صحبة رئيس الدير سبيتز (Spitz) (26) حتى تكون بمنجى من غضب أوليائها والقاضي والمجتمع . الا ان القاضي عبد العزيز فسر ذلك بأنه خرق للمعاهدة التي أمضيت بين الداي حسين والجنرال بورمن ، وعليه قدم استقالته احتجاجا على ذلك .

أما وزير الحربية الفرنسي ، فقد وقف ضد السماح لنشاط المبشرين خشية ردود فعل المواطنين ضد السلطة المحلية ، وفي رأيه أن المسائل الدينية تكتسي أيضا طابع الوطنية والتعصب (27) ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون بعض المسؤولين الفرنسيين أمثال جونتي دي بوسي (Genty de Bussy) الوكيل المدني بالجزائر والملك لوي فيليب والمارشال (Valée) من أنصار التبشير في الجزائر ، وقد عبر دي بوسي عن أمله أن يرى القساوسة يبشرون بالدين المسيحي عند العرب (28) . أما الملك لوي فيليب الذي خلف شارل العاشر ، فقد أظهر عطفا وتشجيعا كبيرين على الارساليات التبشيرية وعلى الكنيسة ، وقد صرح البابا قريقوار السادس عشر (Grégoire XVI) مظهرا امتنانه للملك لوي فيليب : « ان الكنيسة صديقة لكل الحكومات مهما كان نظامها ، شريطة أن لا تضطهد حرية الكنيسة ، وأنا ممتن جدا بالملك لوي فيليب وأتمنى أن يضاهيه كل ملوك أوروبا » (29) .

كان الملك لوي فيليب يؤمن بالدين ويعتمد عليه وقد عمل على جلب رجال الدين اليه لتعزيز نفوذه والوقوف ضد الحركات المناهضة له ، وفي كثير من الاحيان كان يقف بحماس ونشاط ضد بعض وزرائه الذين عرفوا بمناهضتهم لرجال الدين (30) ، وكان يؤيده في ذلك رئيس وزرائه قيزو (Guizot) الذي كان يرى : « ان امبراطورية المعتقدات الدينية لم تكن أقل أهمية الآن منها في العصور السابقة ، ولا أتردد في القول بحتميتها الآن أكثر من أي وقت مضى » (31) .

ماذا كان موقف الملك لوي فيليب اذن من النشاط التبشيري في الجزائر ؟

كان الملك لوي فيليب على علم بالسياسة الفرنسية في الجزائر والمقاومة العنيفة التي أظهرها جيش الامير عبد القادر وخاصة جيش الحاج أحمد باي قسنطينة ، الذي ألحق أكبر هزيمة حربية للجيش الفرنسي على أرض افريقيا

(26) ESQUER, Gabriel, *Correspondance du général Drouet d'Erlon*, pp. 123-125, Paris, 1926.

(27) **المصدر نفسه** ، ص 35 ، اعتبر وزير الحربية الفرنسي ارتداد هاته المسلمة عن دينها واحتضانها الدين المسيحي « من أخطر المشاكل التي تعرض دوما علاقات السلطة المحلية بالمواطنين الى الخطر ، في بلاد مازالت حديثة العهد بفتحها وحيث تكتسي المسائل الدينية طابع الوطنية والتعصب ، وعلى الادارة أن لا تبقى مكتوفة الايدي أمام ارتداد هاته المسلمة ، بل الواجب عليها أن تمنعها بالقوة » .

(28) REYNAUD, *op. cit.*, t. 1, p. 406.

(29) DEMONTES, Victor, *La colonisation militaire sous Bugeaud*, p. 446, Paris - Alger, 1917.

(30) *Ibid*, p. 445.

(31) *Idem*.

سنة 1836 م ، وقد طالب الملك ووزراؤه بالقيام بحملة ثانية للقضاء نهائيا على مقاومة الحاج أحمد ، وقد نجح الجيش الفرنسي الغازى فى أكتوبر 1837 م فى اسقاط المدينة بعد حرب ضروس ، ونتيجة لذلك بعث الملك الى رئيس أساقفة باريس بهاته الرسالة : « ان قسنطينة أصبحت تحت سلطتنا ، ان جيشنا فى افريقيا قد وشح بالمجد ، ولارفع شكرى للعناية الالاهية لانتصارنا، فانى أرغب أن تقام صلاة شكر فى كل كنائس باريس » (32) . وعندما تعددت مساعى البابا لدى الملك ، لفتح وتشجيع النشاط التبشيرى بالجزائر ، تعين ، لاول مرة ، الاسقف دوبوش (Dupuch) لهاته المهمة ، ولدى استقباله من طرف الملك ، صرح له هذا الاخير : « لا يكون العرب فرنسيين الا عندما يصبحون مسيحيين ، ويتوقف ذلك علينا نحن الاثنان ، فلنعد الحياة الى افريقيا (المسيحية) » (33). كما صرح لخليفة دبوش الاسقف باذى (Pavy) : « يجب أن نتحلى بحسن التدبير للعمل على اعتناق العرب الدين المسيحى ، أما اذا أسرعنا فى ذلك فاننا سنضر بالقضية كلها ، وأخيرا لا يكون العرب فرنسيين الا اذا كانوا مسيحيين » (34) .

ذلك هو موقف الملك ، لا التواء فيه ولا لبس ، ايمان عميق بحتمية انتصار المسيحيين فى الجزائر وبالتالى انتصار للمدنية والحضارة .

أما حاكم الجزائر العام المرشال فالى (Valée) فقد أدرك أن المسيحية يجب أن تقوم بدورها فى افريقيا وان : « فرنسا تبقى أكثر فى بلد ترفع فيه الصليب من رفعها العلم الفرنسى فقط » (35) ، وعليه قام المرشال بنصب الصليب على كتدرائية الجزائر ، وكذلك عندما افتك أجمل جامع بمدينة البليدة وحوله الى كنيسة كاثوليكية ، كما أعطى أوامره (36) ان ينصب فى الحال علامة الصليب ليعلن انتصار المسيحية ، والذى معناه الاحتلال النهائى للبلاد ، وقد كتب البابا رسالة مؤثرة يشكر فيها للمرشال مشاعره المسيحية الطيبة (37) والمساعدة والاجراءات الخيرية التى قدمها

---

(32) Archives Nationales d'Outre-Mer à Aix-en-Provence, 18 X 56.
الارشيف الوطني لبلدان ما وراء البحار باكس أون بروفنس .
Papiers du Général L. M. Moins.

رسالة بتاريخ 24 اكتوبر 1837 .

(33) Piolet, op. cit., p. 60. ، يذكر أن وزير خارجية لوى فيليب قد طلب من أحمد باشا باي تونس تحطيم برج الرؤوس بجزيرة جربة والذي مازال قائما مذكرا بالحملة الصليبية عليها وانتصار المسلمين الذين جعلوا من رؤوس المسيحيين رمزا تاريخيا لهذه الغزوة في منتصف القرن السادس عشر .

راجع :
MONCHICOURT, Ch. *l'expédition espagnole de 1560 contre l'île de Djerba*, pp. 157-158, Paris, 1913.

. . . ونذكر أيضا انه في هذا الظرف بدأ لوى فيليب في بناء كنيسة سان لوى في قرطاج وقد علق على ذلك أهمية بالغة ، راجع :
VASSEL, Insebe, *Un précurseur, l'abbé français Bourgade*, p. 107, in, *Revue Tunisienne*, N° 74, mars, 1909.

(34) PAVY, Mgr. *Mémoire à consulter sur la création des évêchés d'Oran et de Constantine*, 2e édition, p. 21, Alger, 1864.

(35) VEUILLOT, Louis, *Les Français en Algérie, souvenir d'un voyage fait en 1841*, p. 302, 1er édition, Tours, 1863.

(36) المصدر نفسه ، ص . 302 .

(37) MONTCLOS, Xavier de, *Lavigerie, le Saint-Siège et l'église, 1846-1875*, p. 345, Paris, 1965.

وكذلك « لتنقية المعابد من الخرافات المحمدية وتحويلها الى كنائس لصالح المذهب الكاثوليكي ... حتى يقوم رجال الدين بواجبهم في نشر نور الانجيل بحرية ونجاعة ... » (38) .

وقد استفحل الامر بين أنصار التبشير ومن يدعو الى الحذر في ذلك ، ونتيجة لهذا الصراع تعددت التقارير المرسلة الى وزير الحربية الفرنسي يطالب فيها أصحابها بحتمية الاهتمام بنشر الدين المسيحي : « انه من الحكمة للملك وللحكومة أن تعمل على تمدين هذه الشعوب البربرية . هل يظن أن ننجح في ذلك بغير الدين المسيحي ؟ لا نستطيع أن نصل الى هذا الهدف باستعمال قوة السلاح أو الوسائل ذات البذخ التافه . ان القوة لا تخلق الا العبيد ، أما البذخ فيفسد القلوب ويذبل الارواح ، وعلى العكس من ذلك أن الدين الكاثوليكي يملك وحده وبدرجة عالية ، في كل مكان أردناه سر ادخال حضارة هي بدون جدال ، أكثر من غيرها ذات الفلسفات الباطلة » (39) . ويتابع صاحب المذكرة شرح رأيه بكل ثقة واطمئنان : « ان المسلمين اذا اعتنقوا الدين المسيحي فانهم سيظهرون لنا الطاعة ويصبحون اخوانا لنا وبالنتيجة ستكون آلامنا نفس آلامهم وأفراحنا وتقدمنا نفس أفراحهم وتقدمهم . أما اذا مقتوا ديننا فذلك لانهم يجهلونه وكيف سيعرفونه اذا لم نرسل اليهم قساوسة للتعريف بديننا ونشره بينهم » (40).

ويختم كاتب المذكرة الى القول : « ألا تتطلب سعادة هؤلاء الاشقياء أن نقوم بهذه المحاولة ؟ اننا عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حدا لهذا الفيض الشنيع لطبائعهم وأخلاقهم والذي يمتاز به هؤلاء البدو الذين يسيرهم القرآن » (41) .

وكاتب المذكرة يعكس بأمانة تفكير عدد من أفراد الجالية الاوروبية الذين يؤمنون بتفوق معطياتهم الحضارية والاقتصادية والدينية بتعصب واضح . أما تحليله للوضعية فكان من وجهة نظر داعية مخلص للكنيسة ، الشيء الذي حدا به الى المطالبة « بحرية تثقيف المواطنين المحليين وحرية الاتصال بهم واستقبالهم في المعاهد التي ننشر فيها الدين لتكوينهم ... حتى لا يبقى ... هذا الشعب متأخرا اليوم ، اذا قيس بأمسه عندما كان أكثر من أربعمائة قس ينشرون بسخاء تعاليم الانجيل » (42) .

---

(38) رسالة بتاريخ 18 ماي 1839 .
YVER, Georges, *Correspondance du Maréchal Valée*, t. III, pp. 89-90, Paris, 1954.

(39) Archives du Ministère de la Guerre à Vincennes (A.M.G.)
عثرنا بارشيف وزارة الحربية بفنسان على ثلاثة تقارير ، أولها : تقرير مفصل عن التعليم الكاثوليكي بالجزائر ويوجد بالملف التالي : A.M.G., H. 235
وثانيها تقرير وضعه الجزال رندون (Randon) ويوجد بالملف :
أما التقرير الذي اقتطفنا منه هذه الفقرات فيوجد بالملف التالي : A.M.G., H. 229
لم نعثر على اسم محرر التقرير الاخير ، راجع المدخل الى هاته الوثيقة المنشورة في هذا العدد ص . 33 والذي يهمنا هو هذه العقلية السائدة لدى عدد من انصار الكنيسة ومن يدعو الى نشر الدين المسيحي لدى المسلمين .

(40) A.M.G., H. 229

(41) المصدر نفسه .

(42) المصدر نفسه ، قارن PAVY, *op. cit.*, pp. 1-2
يذكر باذى أن الكنيسة الافريقية كانت تضم أكثر من 700 قس وبطبيعة الحال أن كلا من الكاتبين على الرغم من عدم تحديد زمن ذلك ، فحديثهما حول أزهى العصور المسيحية .

وقد حرص عدد من الكتاب الفرنسيين على نبش الماضي لاقناع المسؤولين أن هاته الارض الافريقية مسيحية في الاصل (43) ، وعليه عندما يدعي الجزائريون الى اعتناق الدين المسيحي ، فذلك شيء طبيعي خاصة وأن « الكنيسة الافريقية كانت اهم الكنائس بعددها وشهدائها وعباقرتها وأساتذتها ، واذا اعتنق المواطنون قبل ذلك الدين الاسلامي فانهم بامكانهم أن يرجعوا الى المسيحية » (44) .

ويرى كاتب آخر أن « الاسلام يستند نفوذه الى كتاب ضخم هو القرآن، ومن الواضح أنه يجب معارضته بنفوذ أكبر لكتاب أكثر أهمية هو الانجيل وهذا هو السبب الذي من شأنه أن يضفي أهمية لمجهود نشر الانجيل في افريقيا الشمالية ... » (45) .

وقد خلف المرشال فالي ، الجنرال بوجو (Bugeaud) الشخصية التي ارتبط اسمها بالاحتلال العسكري للجزائر ، وهو على الرغم من تصلب موقفه تجاه المبشرين بادىء الامر ، فانه لا يفوتنا أن نذكر ببعض المواقف التي اتسمت بالعطف عليهم وتشجيعهم ، من ذلك موافقته على رفع الصليب على كنيسة القصبة والسماح لاول مرة للمبشرين بمرافقة صفوف الجيش الفرنسي الغازي (46) ، وعندما حلت جمعية (Trappiste) المسيحية باسطاوالي ، ساعدهم الجنرال ماديا ، كما كان يحضر حفلاتهم الدينية الضخمة لضرب معنويات الشعب الجزائري (47) ، وبذلك كان تعاون العسكريين ورجال الدين يترجم هذا التقارب السري بين الحكومة يومذاك والكنيسة من جهة والجيش والرهبانيين من جهة آخرى (48) .

ومما يدل على ذلك أن الجنرال بوجو أسر في احدى هجماته على بوفاريك ، 250 طفلا وقدمهم الى الأب برومو (Brumauld) مخاطبا أياه : « انهم يتامى لقطوا في ساحة الوغى ، ربوهم واجعلوهم مسيحيين » (49) .

أما كاتب الجنرال بوجو لوي فويو (Louis Veuillot) فكان يرى أن الجزائر سوف لن يكون لها اله آخر غير المسيح خلال العشرين سنة المقبلة : « ان ربع قرن لكفيل بتغيير وجه العالم، ثم ان الفتوحات التي ترفض أوروبا

---

(43) عملت الادارة الفرنسية على تهديم القلعة القديمة بالجزائر (Vieux Fort) بتاريخ 27 ديسمبر 1853 للعثور على رفات جرومينو (Géromino) الذي حسب معلومات احد القساوسة أنه دفن بها • وجرومينو هذا ، وقع اسيرا في أيدي الجزائرين سنة 1569 وبقي في السجن مدة 25 سنة رفض خلالها أن يرتد عن دينه ، وسبب له ذلك حسب راي المؤلف ، الاعدام راجع :
RUSILLON, H, *Une énigme missionnaire, les destinées de l'Eglise chrétienne dans l'Afrique du Nord*, pp. 95-96, Paris, 1931.

(44) GAFFAREL, Paul, *L'Algérie, Histoire, conquête et colonisation*, p. 604, Paris, 1883.
كما نذكر بكتاب تولوط :
TOULOTTE, *Géographie de l'Afrique chrétienne*, 3 t., Paris, 1892.
حيث كان هدفه كما يصرح ، الدلالة على استمرار انتصار الكنيسة الافريقية خلال السبعة قرون الاولى الميلادية ، وهو كتاب شامل لاثار المسيحية في هذه الربوع حيث قدم لنا سجلا للمسيحيين بافريقيا وموجزا لحياتهم واعمالهم كما استنطق عددا من الكتابات الاثرية • • •

(45) RUSILLON, *op. cit.*, p. 119.

(46) VEUILLOT, *op. cit.*, p. 302.

(47) DEMONTES, *op. cit.*, p. 461.

(48) المصدر نفسه ، ص • 475 •

(49) PIOLET, *op. cit.*, p. 69.

القيام بها من أجل العقيدة سوف تكسبها عن طرق التجارة وسيرافق المبشرون التجار » (50) ومن رأيه : « أن الانسان يكون أعمى اذا لم يدرك أن العناية الالاهية تعمل للقضاء على الاسلام ... ووقتها تصبح الجزائر ممتلكة مسيحية ولن تكون مسلمة وأن تونس والمغرب الاقصى سوف لن ينتظرا كثيرا (ليعرفا نفس المصير) » (51) .

أما الجنرال دولامرسيار (De Lamorcière) فكان رجلا ورعا متدينا (52) خدم الدين المسيحى ودافع عن تحسين وتوفير الكنائس فى الجزائر وحيث حول أحد مساجدها الى كنيسة بوهران . وقد كتب الى البابا قائلا : « لقد رأيت الآباء يعملون ، لقد أحببتهم وقد علمونى أنه يوجد انتصار آخر فوق كل انتصار هو ذلك الذى ننتصر فيه للمسيح أكثر من أى انتصار لقهر العالم » (53) .

وعندما قامت ثورة 1848 بفرنسا وتم عزل المرشال ، عرضت عليه البابوية قيادة جيوش الفاتيكان وقد قبل مصرحا : « ان المسيحيه ليست فقط دين العالم المتحضر ولكنها أساس وحياة الحضارة نفسها منذ أن أصبحت البابوية مركز المسيحية » (54) .

على أن سياسة بعض الحكام العسكريين الفرنسيين بالجزائر اتسمت بالحيطه والحذر لكل ما يمس المعتقدات الدينيه . ذلك أن هذا الشعب قد اظهر استماته وعنفا للدفاع عن دينه خلافا للبابويه ورجال أسقفية الجزائر ، الذين كانوا حريصين على بعث الكنيسه الافريقيه ، وتمسيح هذا الشعب والمطالبه بحريه نشاطهم مثل فتح المدارس وانشاء الملاجىء للاطفال اليتامى ونشر تعاليم الانجيل لدى قبائل البربر وتهيئتهم اجتماعيا وروحيا للحضارة المسيحية الاوروبية .

وقد صرح لافيجرى (Lavigerie) أسقف الجزائر موضحا سياسته التى لم يخفها على احد : « لقد وجب اعادة بناء الشعب وفصم وقف حياته على القران الذى ارتبط به منذ زمن بعيد ، مستعملين كل الوسائل الممكنه، ومن جهه اخرى يجب تلقين أبنائه على الاقل ، مشاعر ومبادىء جديدة كما يجب على فرنسا ان تقدم اذا لم تخطىء ، او بالاحرى ، تسمح بتقديم الانجيل او تعمل على طرد هذا الشعب الى الصحراء ، بعيدا عن العالم المتحضر ، وبغير هذا ، كل شىء يصبح وسيله لا تفى بالغرض ولا قدرة لها .. » (55) .

وقد اشارت هذه الرسالة الى سخط الحاكم الفرنسيالعام بالجزائر المرشال ماك ماهون (Mac-Mahon) الذى اراد حصر نشاط المبشر اللامع ، غير أن

---

(50) VEUILLOT, *op. cit.*, p. 6.

(51) **المصدر نفسه** ، ص . 7 .

(52) كان الجزال يحمل على كتفه ميدالية فضية كتب عليها (Spes mea Deu) أي املي في الله ، راجع :
POTTIER, René, ***La** croix sous le burnus*, p. 63, Paris, 1952.

(53) **المصدر نفسه** ، ص . 62 ، وقد رد البابا عليه بهاته **الرسالة** :
عزيزي :
ابعث اليكم بوسام المسيح الذي أحسنتم خدمته والذي **أتمنى** أن يكون **مكافئة منا** اليكم » .

(54) **المصدر نفسه** ، ص . 88 .

(55) TOURNI**ER, J**, *Le Cardinal **Lavigerie** et son action politique*, (1863 - **1892)**, p. 22, Paris, **1913.**

هذا الاخير اتصل بالامبراطور نابوليون الثالث (56) وأقنعه بسمو المهمة الالاهية التى عهدت اليه على الارض الافريقية ، وقد كتب وزير الحربية آنذاك المرشال نيل (Niel) برسالة تاريخية الى الاسقف لافيجرى يؤكد له فيها : « أن الحكومة لم تفكر مطلقا فى حصر حقوق الاسقفية ، وأنها ستفسح له المجال حرا لتوسيع وتحسين الملاجىء والاماكن التى ترغبون فيها تقديم المساعدات الخيرية المسيحية للاطفال اللقطاء والارامل والعجز ... » (57) .

وقد برز عدد من العسكريين الذين كانوا يؤيدون نشاط المبشر لافيجرى أمثال الجزال صونى (Sonis) الذى وصف مهمته بأنها « المهمة الوحيدة التى يمكنها أن تقدم الحقيقة الى هذا الشعب » (58) .

أما الطبيب فارنيى (Dr Warnier) فقد كتب الى لافيجرى يطمئنه بأن النصر حليفه ، داعيا اياه الى الاستمرار فى نشاطه : « آمل أن تستمر فى نشاطك من أجل انتصار الحضارة وبعث الكنيسة الافريقية وسط هؤلاء الجبليين الذين كانوا مسلمين بالاسم فقط ، ذلك أنه عندما يحارب المارقون عملنا ، فانه لا يكون من المفيد أن نظهر لفرنسا الكاثوليكية ، أن لا مستقبل للعرب والاسلام فى الجزائر .... » (59) .

هذا وكشف لنا الاسقف لافيجرى عن رسالة كان قد وجهها اليه أحد العسكريين السامين وهو من المشرفين على الشؤون الجزائرية : « ماذا سيكون مصير هذه المشاريع اذا تخليتم عنها ؟ ماذا سيكون مصير قرى العرب المسيحيين ... أن العمل المسيحى الفرنسى فى أسمى درجاته سيعمل على محاربة أنصار الهلال والمملكة العربية » (60) .

وقد اشتد الصراع بين العسكريين ورجال الدين (61) فى عهد نابليون الثالث الذى أظهر تفهما لمطالب الكنيسة فى آخر عهده ، غير أنه بعد سقوط العسكريين وتولى المدنيين السلطة فى الجزائر بعد انتفاضة سنة 1871 م ، سيعرف التبشير نشاطا حثيثا فى عهد حاكم الجزائر العام الاميرال قيدون (Gueydon) الذى كان يحقد على الاسلام ويعده وراء انتفاضات الجزائريين ، وهذا ما يعلل هجوماته عليه ، وقد عمل على تقييد حرية تنقل زعماء الطرق الدينية ، كما أمر بعدم زيارتهم ، وصرح أنه لا يقبل سراح الجزائريين للقيام بالحج ، وهذا ما يفسر تلقائيا سياسة التبشير الرسمية التى تبناها (62) وأعلنها بكل وضوح للافيجرى (Lavigerie) : « لقد

---

(56) اتبع نابوليون الثالث بالجزائر سياسة ارتجالية اتسمت في كثير من الاحيان بالتناقض ، وموقفه المتشدد بادىء الامر تجاه المبشرين ثم تسامحه وافساح المجال لنشاطهم ، لا يخضع لاى مبدا واضح ولا تبرره أية قاعدة سياسية • ولعل للامبراطورة زوجته بعض التاثير في ذلك خصوصا اذا علمنا انها كانت متدينة ، وحسب رايها أن الكاثوليكيين الطيبين يجب أن يقوموا بزيارة باباوية روما وبيت القدس ، راجع : تقرير على باشا السفير العثماني بباريس ، المرسل الى وزير الخارجية العثماني بتاريخ 22 اكتوبر 1864 والموجود بارشيف وزارة الخارجية باستنبول
H. A., Fransa Carton 283.

(57) TOURNIER, *op. cit.*, p. 28.

(58) GRUSSENMEYER, *op. cit.*, t 1, p. 185

(59) **المصدر نفسه** ، ص • 187 ، اما ص ، 189 ، فيقترح الطبيب فارنيبي على المجلس الوطني « توزيع أطفال القرى (الجزائرية) وسط العائلات المسيحية الحقيقية »

(60) **المصدر نفسه** ، ص • 186 •

(61) EMERIT, Marcel, *Le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le Second Empire, le conflit entre Mac-Mahon et Lavigerie*, p. 77, in, *Revue Historique*, janvier-mars 1960.
ويذكر ان الحاكم ماك ماهون الكاثوليكي المؤمن كان يتالم كثيرا لوجود هذا الصراع •

قضيت حياتي وأنا أحمي البعثات الكاثوليكية في كل بحار الارض، ولا يمكن أن أقبل اليوم أن تضطهد على أرض فرنسية » (63) ، ويقول ايضا : « آن الوقت قد حان لضم هذا الشعب المغلوب على أمره شيئا فشيئا الينا والى الحضارة المسيحية » (64) .

هذا وقد أطلق المعمرون الفرنسيون عليه الاميرال كردينال (65) لانتصاره وتشجيعه كثلكة الشعب الجزائري .

وقد قام لافيجري في عهده بتحقيق أغلى أمانيه في بعث الكنيسة الافريقية عندما أقام مراكز رعاية اليتامى وتربيتهم وتنشئتهم وكثلكتهم في (النهاية) ، وقد عد الجنرال وبفان (Wimpfen) هذا العمل كأجمل وأجل مشاريع هذا القرن (66) .

ومن الجزائر تحول لافيجري الى تونس ايمانا منه بقدسية مهمته على الارض الافريقية وقد قيم قمبطا (Gambetta) الزعيم السياسي ، نشاطه بتونس واصفا اياه بأنه « يضاهي نشاط جيش بأسره » (67) . على أن علاقة لافيجري بقنصل فرنسا بتونس رسطان (Roustan) وبوزير خارجية فرنسا ودنقتن (Waddington) ورئيس الوزراء الفرنسي جول فيري (Jules Ferry) قد فتحت ولا شك الطريق الى انتصار الجيوش الفرنسية في تونس وانتصاب الحماية عليها (68) ، ولا نستغرب أن يكون لافيجري مستشارا ودليلا لقمبطا وجول فيري لتحقيق ذلك الهدف (69) .

هذه أضواء وبيانات حول مواقف المسؤولين الفرنسيين من عملية تنصير الجزائر وهي تساعد على فهم العقلية التبشيرية التي كان يؤمن بها رجال الدين وبعض الساسة على حد سواء ، كما تبين ايمان هؤلاء الساسة بالتبشير وتشجيعهم له وعطفهم على رجال الدين الذين كانوا يؤمنون بالمهمة الحضارية التي ألقيت على عاتقهم تجاه العالم (70) ، ذلك أن القرن التاسع عشر يمثل أجمل العصور التبشيرية الفرنسية وأن فرنسا كانت الدولة المثالية في هذا الميدان ، ولعل أبلغ ما نختم به هاته الدراسة للدلالة على هذا الارتباط بين السياسيين المبشرين ورجال الدين ، أن البند الثامن والثلاثين بعد الاربعمائة من معاهدة فرساي (Versailles) التي أمضاها سياسيو اوروبا وأمريكا عقب الحرب العالمية الاولى ، كان هذا البند ينص على حرية وجواز التبشير (71) .

---

(62) AGERON, Charles-Robert, les Algériens musulmans et la France, t. 1, p. 301, Paris, 1960.
(63) PIOLET, *op. cit.*, p. 72.
(64) AGERON, *op. cit.*, p. 302.
(65) GRUSSENMEYER, *op. cit.*, t. 1, p. 185.
(66) PIOLET, *op. cit.*, p. 67.
(67) GOYAU, G, *La France missionnaire dans les cinq parties du monde*, t. 2, pp. 324-325.
(68) PIOLET, J. B, *Nos missions et nos missionnaires*, p. 50, Paris, 1904.
(69) **الشرفي** ، عبد المجيد ، **الحركة التبشيرية في تونس في القرن التاسع عشر** ، ص . 142 ، المنشور بـ : **حوليات الجامعة التونسية** ، عدد 8 ، تونس ، 1971 .
(70) الم يقل اليسوعيون : « نحن ورثة الصليبيين ، أو لم نرجع تحت راية الصليب لستانف التسرب التبشيري والتمدني المسيحي ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح ! » راجع : **خالدي** ، مصطفى ، **وفروخ** ، عمر ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية** ، ص . 48 ، الطبعة الاولى ، بيروت ، 1953 م .
(71) **المصدر نفسه** ، ص . 117 .

ولا شك أن مثل هذه العلاقة توضح الاهمية البالغة التى كان يعلقها الساسة على المبشرين ، حيث كان هؤلاء يمهدون للتغلغل والتسرب الاستعمارى الاوروبى سياسيا بادىء الامر (72) ، ثم سرعان ما يشمل مناحى الحياة الدينية والثقافية والحضارية لتكون فى خدمته ، وتاريخ التبشير فى عدد من الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية ، ما زال يشهد على تعاون الساسة والمبشرين وازدواجية نشاطهم فى خدمة مصالحهم المشتركة .

واختم هذا البحث بقولى ان تاريخ التبشير فى بلدان المغرب العربى ، ما زال ينتظر من يؤرخه بروح موضوعية علمية شاملة ، بعيدة عن العواطف المتاججة والاحكام المسبقة .

عبد الجليل التميمى

كلية الآداب ـ الجامعة التونسية

(72) PIOLET, J. B. *Nos missions et nos missionnaires*, p. 50, Paris, 1904.

يذكر ان تسكين البلاد يصبح سهلا جدا في المناطق التي عمل فيها المبشرون الفرنسيون ، على ان غيرها ممن لم يصل اليه المبشرون ، سيصبح مجال تسكينه واخضاعه صعب جدا .

سجلات المحاكم الشرعية

كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي

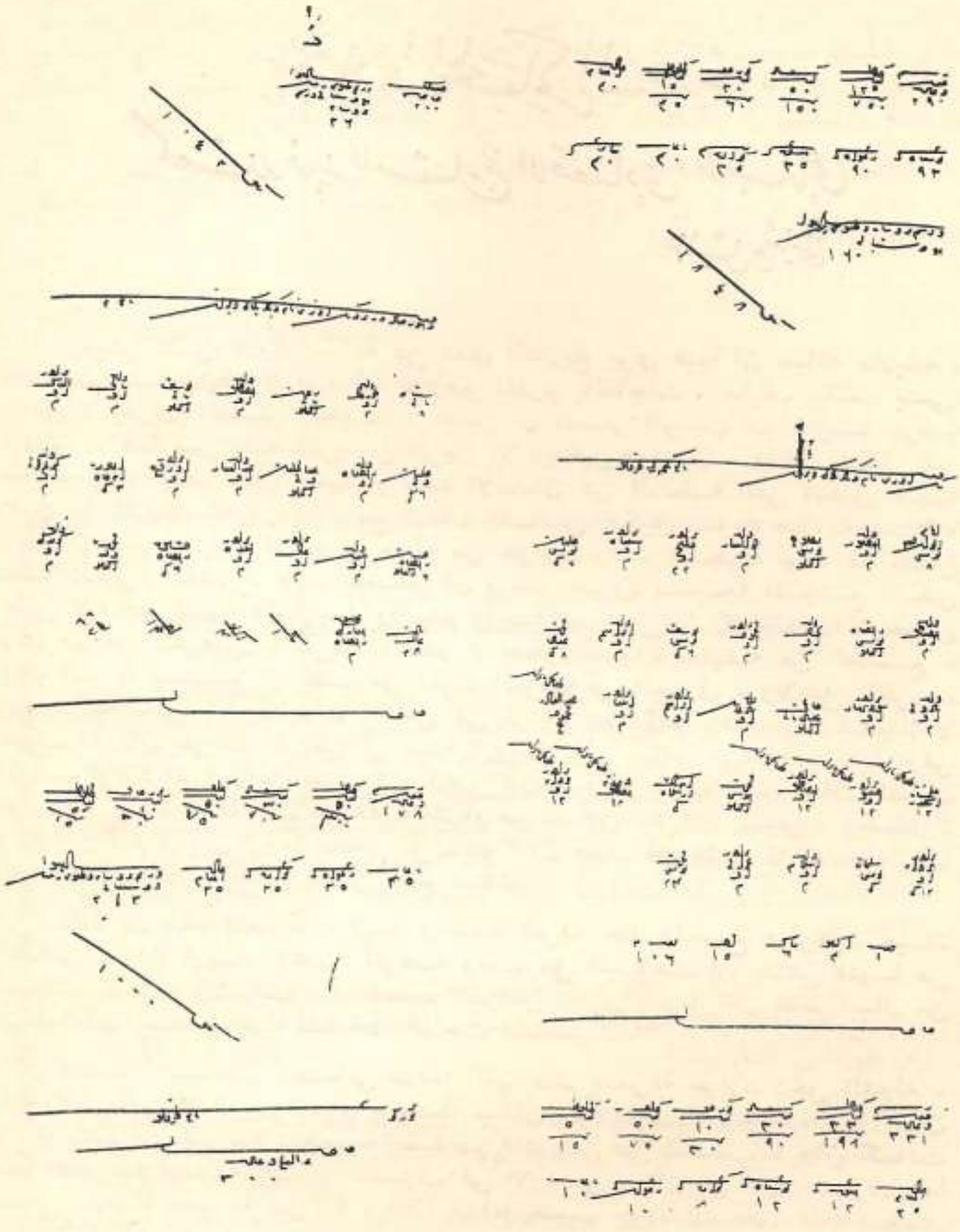
- خليل الساحلي

يعيش المرء أدوار حياته على مدى التاريخ يرى فيها أن حياته عادية ، فلا يهتم بتسجيلها ولا يابه لها ، وهو المغرم بالمفاجآت ، فكيف يكلف بشيء عادي لا يعرف التغيير للحياة . غير ان السير الرتيب هو أيضا عرضة للتطور ، فما يمر عليه شيء من الزمن الا ويتغير ويتبدل ، ولكن بشكل غير محسوس ، فكلما طال العهد وابتعد الانسان عن النقطة التى انطلق منها ادرك ما كان أهمله وراح يجمع شتات الماضى ليكون صورة صادقة عنه ، ذلك ان عدم اكتراثه لما يجرى حوله من حوادث وعدم تسجيله لها ، قد أضاع علينا الشيء الكثير ، وقد يتعذر أن يرسم صورة صحيحة للمجتمع الذى عاش فيه هو نفسه فضلا عن والده واجداده . على ان كتابات المؤرخين وغيرهم من المغرمين بالطريف النادر لا يعطون صورة حقيقية عن المجتمع ، ذلك اننا لا نستطيع ان نقف على الحياة اليومية فى السوق ، ولا على الظروف الاجتماعية للفرد ، ولطبقات الناس في ثراهم وضنكهم وفقرهم ... فمثلا لا نعرف ما كان يفرشه المواطن فى بيته ؟ وماذا كان يلبس فى سائر الايام وفى المواسم والاعياد ؟ وأين يتنزه ؟ وكيف كان يسر ويطرب ؟... ماذا كانت موارده ؟ وما قدر ما كان يربحه عاملا أو مستعملا ، ما كان يستورد ويصدر ؟ ومن أين ، والى أين ؟ وما مقدار كل ذلك ؟ ان هذه المعلومات اذا تقادم عليها العهد ولم تسجل تندر ويعسر جمع شتاتها .

ذلك أن هذه المعلومات قيمة ومفيدة لمعرفة حال المجتمع وظروف حياة الناس . واذا أريد اقتفاء أثرها وجب على الباحث أن يفتش عنها فى سجلات كانت ، ولا ريب ، قد اعدت لأغراض أخرى ، وما كان يخطر ببال من سجلها أنها ستستجيب لمعطيات الباحث المعاصر .

خذ مثلا السلطان العثمانى عندما كان يهتم بمعرفة موارد دخل الدولة ، فانه كان يأمر الاداريين للقيام باحصاء سكان الولايات والالوية ، وما كان يؤخذ منهم من ضريبة شخصية بصفتهم قادرين على الكسب ، وان كانت هذه الضريبة متنوعة حسب التصرف فى الاراضى ، فان من كان يتصرف بما يسمى جفتلكا وهو ما بين 40 و 150 فدانا حسب جودة التربة ، فانه يؤدى ضعف ما كان يؤديه من كان يتصرف بمقدار نصف ذلك ، ولا نقدر ان نقول انها ضريبة أرض ...

ولا يكتفى السلطان باحصاء المكلفين بالضرائب بل يتجاوزهم ويحصى القرى وكل ما تنتجه القرية، مسجلا العشر منها فقط. اذ ان مجموع الضرائب السنوية ومقاديرها تعطى فكرة عن الوضع الاقتصادى ومقدار العجز أو مقدار



الشكل رقم 1 . صفحتان من دفتر احصاء لواء بروسا .

دار الوثائق التركية ، طابو رقم 80 .

الفائض ، وتقريب هذه الارقام ومقايستها بمدى سطوة الدولة ليس بالامر العسير (1) .

سجلات المحاكم الشرعية

لقد مكنتنا « دفاتر الاحصاء » أن نستقى معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية ، اما « سجلات المحاكم الشرعية » فتمكننا من استقاء معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعصور التي تعود اليها ، ويمكننا اليوم استخدام هذه المعلومات لمقاصد ومطالب حديثة . ذلك ان هذه السجلات تستجيب لعدد من الاسئلة التى تدور بخلد الباحث اليوم وتفى بمطالبه ، فالقاضى كان يقوم بمهام أخرى توازى أهمية وظيفته العدلية ، خاصة فى العهد العثمانى والدور الذى سبق عصر « التنظيمات » .

ذلك أن القاضى فى العصور العثمانية القديمة ، كان يمثل ، الى جانب رجل العدل والقضاء ، رجل الادارة ، فبالاضافة الى تسجيله القضايا العدلية كان يقوم بتسجيل المسائل الادارية ، كما كان يكاتب الديوان من أطراف الامبراطورية . على أن الباحث يمكنه أن يقف على ذلك من الدفاتر التى كانت تسجل فيها الاوامر الصادرة لشتى ممالك الدولة العثمانية ، اذ أن الاحكام والقوانين الصادرة كانت تتم على يد القضاة ، فهى تبدأ مثلا ... بحكم لقاضى البلد الفلانى ... أو لأمير الامراء فى الخطة الفلانية وقضاتها ... وهى تسوى بين رجال الحكم ورجال العدل . ويجب ان لا يستغرب ذلك ، فالقاضى يمثل الرجل المثقف، أكثر مما كان يمثله رجل الحكم والوالى، وباستطاعتنا أن نرى واليا أو أمير أمراء أو صدرا أعظم لا يعرف القراءة والكتابة ، بينما يستحيل ذلك بالنسبة للقاضى ، الذى لا بد له من معرفة وتضلع فى الفقه خلال سنين طويلة . اذ كيف يستطيع أن يقوم بوظيفة الحكم والقضاء بين الناس قاض لا يعرف الشرع ؟ .

كان القاضى يتخرج فى العهد العثمانى من المدارس التى قام بانشائها السلاطين حول جوامعهم فى عواصمهم التالية : بورصة وأدرنة والقسطنطينية ، ولا ريب أن المدارس فى العواصم الاسلامية التى ضمها وجمعها تحت ادارة الحكم العثمانى ، كانت تعلم وتدرس الطلاب الفقه بالقدر الذى يسمح تولى مهمة القضاء . وكان الطالب عندما يتخرج من المدارس يلازم مدرسا ليترقى ويصير مدرسا على يديه أو يلازم القاضى ويتدرب على خدمة القضاء ، وبما ان التدريس أو القضاء كان يدور، يوم كان العلم مقتصرا على علم الابدان والاديان ، حول موضوع واحد ، كان بامكان المدرس ، اذا أراد ، أن يصير قاضيا ، كما كان باستطاعته ، ان شاء ، أن يطلب التدريس ويتخلى عن الحكم .

والقضاة تختلف درجاتهم بحسب محل قضائهم . وكان يأتى فى المقدمة شيخ الاسلام ، ومقامه بمثابة مقام القاضى فى الدولة العثمانية وهو الذى يعزل وينصب القضاة والمدرسين . على ان القاضى يطلب بعدها براءة ، وهى

---

(1) لسوء الحظ ، لم يوفق العثمانيون لاحصاء سكان شمال افريقيا بالرغم من اهتمام بعض السلاطين بذلك ، واعدادهم العدة وانتداب أناس للقيام بهذه المهمة في أواخر القرن السادس عشر الميلادي . أما في القرن السابع عشر فقد فترت همم السلاطين عن الاحصاء تماما ،ولو قام موظفو الدولة العثمانية باحصاء تونس والجزائر وطرابلس الغرب ، لمكننا ذلك من رسم صورة حسنة عن السكان والبلد وما يستورد ويصدر وعن أنواع الضرائب وجبايتها . . .

الشهادة او الحكم (الفرمان) الذى كان يسجل فيه تقليد القاضى منصبه والوالى ولايته . ويأتى فى الدرجة الثانية قضاة العسكر . كان هؤلاء مستقلون بمناصبهم حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ، وأصبح للخطة الاوروبية قاضى عسكر ولباقى الممالك العثمانية قاضى عسكر ثان ، على أن الاول منهما أعلى رتبة من الثانى ويدعى : « قاضى عسكر روم ايلى » والثانى : « قاضى عسكر الاناضول » ، ثم يأتى بعد ذلك قاضى تخت المملكة، أى قاضى استانبول » (2) .

السجـــلات

لا تحتفظ تركيا ضمن حدودها الحالية ، بسجلات للمحاكم الشرعية أقدم من السجلات التى تعود لعهد محمد الفاتح ، وأقدم ما نعرفه منها ، سجل لمحكمة مدينة بورصة يعود لعام 860 هـ ، ويحوى قضايا النصف الاول من عام 1456 م . أما سجلات ما قبل ذلك فقد أضاعتها عوادى الزمن والتهمتها النيران أو قضت عليها الامطار او أتلفتها ايدى الناس . وسجلات محاكم باقى البلاد التى سلمت من عوادى الدهر ، فهى حديثة وأقرب عهدا ، ورغما عن ذلك ، فاننا اذا دققنا فى شكل وورق وحبر هذه السجلات ، اى اذا درسنا مظهرها الخارجى ، امكننا ان نكتشف واقعا تاريخيا ، يعكس حال المجتمع فى رقيه وانحطاطه ، ذلك ان السجلات القديمة كانت دقيقة ، صغيرة الحجم ، يتفاوت عرض كل منها ما بين 9 و 13 سنتم وطولها ما بين 27 و 32 سنتم ، وهذا ما يمكن للقاضى أخذه معه ووضعه فى جيب جبته ، وقد أصبح السجل مع تقدم الدولة وزيادة سطوتها ، أعرض وأطول ، فبلغ 14 و 16 سنتم وطوله حوالى 37 ـ 45 سنتم ، كما زاد سمكه ، ويزيد طولا وعرضا وسمكا مع الزمن الى ان يأتى دور المحاكم التى تحوى بناياتها ، على كراس ومناضد ، فيتساوى عرض وطول الدفتر حتى يستقر حول الثلاثين والاربعين سنتيمترا ، أما ورقه فهو الطف فى القديم ثم يصفق حتى يضاهى مظهره الجلد ، ثم يرجع ويزيد قبحا مع الزمن ، وكذلك الخط والحبر فهما أجود فى الماضى وتقل جودتهما مع الزمن .

ولنذكر ظاهرتين أخريين للسجلات الشرعية فى العهد العثمانى ، أولاهما أن قيودها كانت وجيزة مقتضبة قديما وزادت اسهابا وتعقيدا وطولا مع الزمن يكاد يضيع على القارئ مفهومها عند تدهور الدولة . والظاهرة الثانية أن قيودها قديما كانت عربية فى الغالب ، وتصبح تركية

---

(2) يفيد نص «قانون التشريفات» الذي يعود لعهد فاتح القسطنطينية ، ان من تخرج من المدرسة، يمكنه أن يصبح ملازما بعشرين « اقجة » ويترقى مع الزمن ليبلغ أجرته 25 ثم 30 و 35 و 40 و 45 اقجة حتى تبلغ 50 اقجة . والمدرس الذي يتقاضى خمسين اقجة يتصدر على كل الاغاوات ، فاذا بلغ الصحن (أحد المدارس العثمانية التي تعادل كليات الجامعات اليوم) يصير قاضيا برتبة 500 اقجة ثم يترقى ليصير « قاضي عسكر » على « أن قاضي دار السلطة بمثابة أمير أمراء من حيث الرتبة واما المدرس الذي يدرس خارج العاصمة باجر كان يبلغ عشرين اقجة فانه اذا دخل سلك القضاء بلغ راتبه 45 اقجة .

واما القاضي الذي يتقاضى 300 اقجة فان مقامه مقام المولويه واما القضاه الذين يتقاضون 150 اقجة يوميا فان مقامهم فوق مقام كتخداوية الدفتر وفوق امراء الالاى وتحت مقام امير سنجق يتقاضى 000 . 200 اقجة سنويا . .

راجع ، **قانون نامه آل عثمان** ، نشر محمد عارف ، استانبول 1330 هـ ، ص . 20 ، ونشر ايضا في مجلة ، **تاريخ عثماني انجمني مجموعة سي** .

وقد تطور الوضع ولا ريب بعد ذلك وتغيرت الرتب باتساع الامبراطورية العثمانية .

اعتبارا من العقد الثاني أو الثالث من القرن السادس عشر ، على أن تركيتها كانت أبسط فأبسط كلما تقادم عليها العهد ، وأشكلت مع العصور الحديثة نظرا لاختلاطها بالكلمات العربية والفارسية وكثر فيها الحشو . وكان استعمال اللغة العربية فى العهود البعيدة قد سهل تبادل الحجج والرسائل بين القضاة فى قضايا الشرع بين تركيا والعالم الاسلامى . ولما اتسعت الامبراطورية وضمت معظم البلدان الاسلامية ، سجل جميع قضاتها حججهم بالتركية خصوصا وقد أصبح القضاة من الاتراك (3) .

محتوى السجلات

يتغير محتوى السجلات من فترة زمنية لأخرى ، وكانت تتضمن معلومات عن شتى مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والادارية ، فى وقت كان القاضى يتمتع بنفوذ ادارى الى جانب نفوذ شخصيته القضائية ، وحيث كان الاختصاص قليلا ، وكلما تقدم الزمن وتقارب العهد ، أخذ أناس آخرون عن عاتق القاضى بعض مهامه وقلت بذلك الفائدة التى يرجوها المؤرخ الاجتماعى والاقتصادى بعد عهد التنظيمات من سجلات المحاكم الشرعية ، ولكنها غير معدومة على أية حال .

تمتاز سجلات المحاكم الشرعية بأنها لا تسجل الحكم فى الدعوى ، فالقاضى يكتفى مثلا بتسجيل اقرار لص لسرقة ، أو جان قتل نفسا ، ولا يسجل الجزاء ولا يقضى به، فكانت مهمته تقتصر على تسجيل الوضع الراهن شرعا ، ثم تدفع بالمجرم لرجال العرف ليطبقوا عليه نص القوانين العرفية أو الاحكام الشرعية من سجن أو قتل أو دية وما سوى ذلك . وكان الاعدام يقتضى تقديم « حجة » بذلك للديوان ، يلخصها قضاة العسكر حتى يقترن بيورلدى (أى الامر) الصدر الاعظم فيحكم عليه ويعدم بموجبه .

وكانت الوثيقة التى تسجل الوضع فى القضية التى يقوم القاضى بالاطلاع عليها تسمى « حجة » لصلاحها للاحتجاج بها ويمضى أعلاها القاضى ويوقع عليها اذا طلبها صاحبها ، كما ويمضى فى أسفلها شهود الحال الحاضرين فى مجلس الحكم اثناء رؤية الدعوى ، وتقتصر السجلات على اسماء الشهود فقط لعدم لزوم تكرار توقيع القاضى فيها : نذكر على سبيل المثال هذه القضية المقتضبة المستخرجة من السجل الرابع لمحكمة بورصة ، من الورقة 285 ، وقعت بتاريخ 4 صفر 20/891 شعبان – فيفرى 1485 : « أقر قاسم بن عثمان بأنه طلق امرأته المدعوة مختوم بنت محمد طلقة واحدة بائنة على مهرها ونفقة عدتها ، وعلى سائر دعاويها وهى متهمة مع الرجل المدعو بولاد بن طورسون اقرارا مصدقا من قبل المقر لها المزبورة » .

(شهود الحال) : الحاج الياس بن أحمد البازارى والحاج اسحق بن يوسف و ...

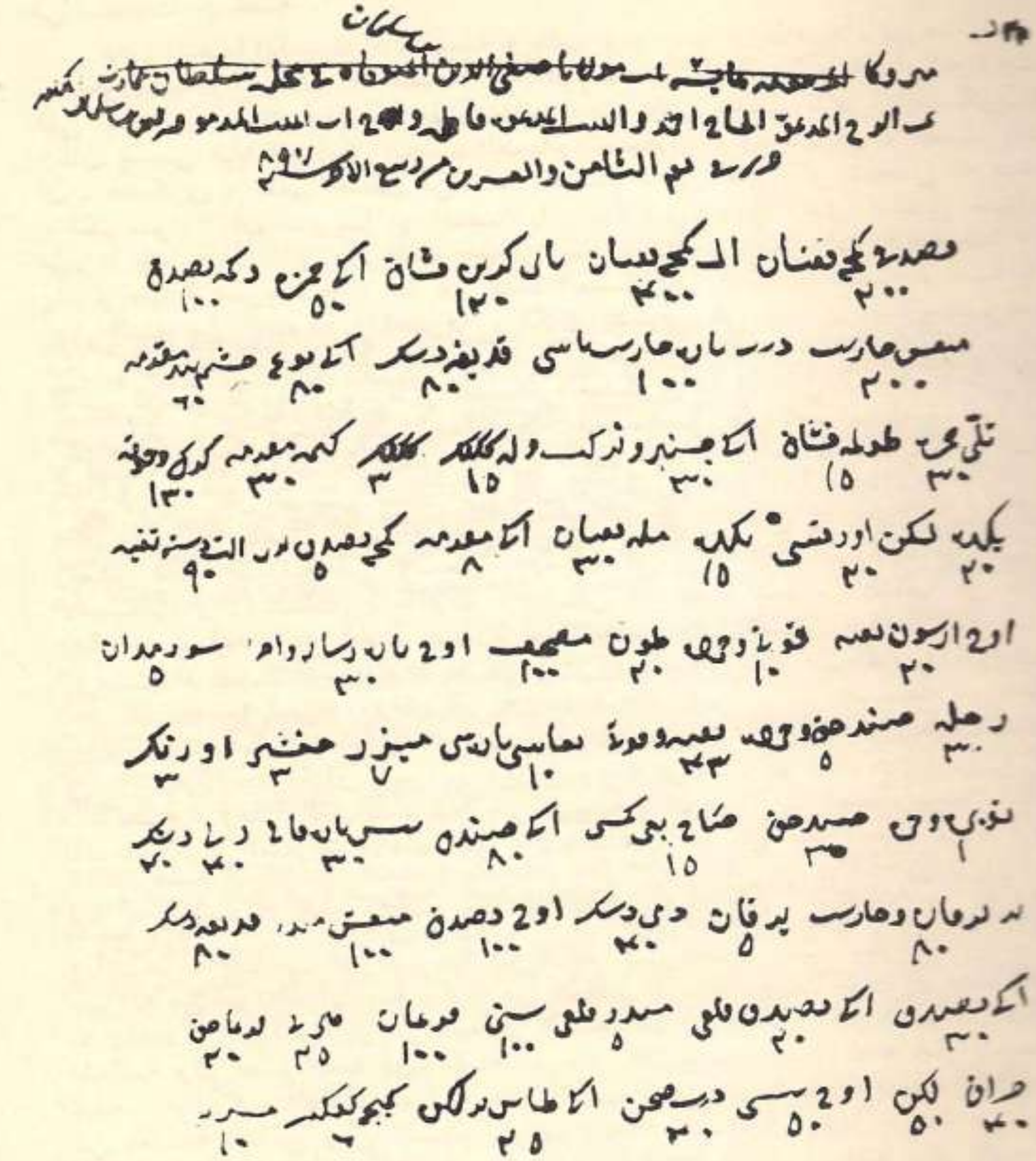
(3) لم يكن في وسعنا الاطلاع على سجلات المحاكم الشرعية في البلاد العربية في العهد العثماني ، ولكننا نرى ان بعض الحجج التي كانت ترد من قضاتها الى العاصمة ، كانت جلها محررة بالعربية والظاهر ان سجلات محاكم حماه كانت عربية التسجيل ، لذلك فقد تمكن عبد الودود يوسف برغوث من اعداد رسالة الماجستير من « **لواء حماه في القرن السادس عشر** » بجامعة عين شمس . وكذلك بقية دراساته عن المعطيات الاقتصادية والاجتماعية لهذه المدينة ، ونلاحظ ان هاته السجلات احتفظت لنا بالفرامين والاوامر محررة بالتركية وهي التي كانت ترد الى قضاة البلد من مقر الدولة العثمانية .

وفي مطلع القرن السابع عشر ، نرى في سجلات القضاة معروضات كأمثال ما كانت تستعمل في الديوان تستهل بـ : « معروض العبد الداعي » أو ما يعادل ذلك من العبارات وتنتهي بكلمة « اعلام اولنور » (أي تبلغ لأجل الاعلام) : فهذه المعروضات كانت تسمى « اعلامات » وقد تطورت حتى كثرت في العصور الاخيرة من عمر الدولة وبات القاضي يكتب لمعظم القضايا اعلامات ترسل لمشيخة الاسلام فان اجازتها كانت تعطى بموجبها « حجة » .

أما مواضيع التقييدات التي تتضمنها السجلات فتتنوع حسب المهام التي يقوم بها القاضي ، ففي القرن السادس عشر كانت السجلات تنقسم الى قسمين ، وكان القاضي يسجل في مقدمتها الدعاوى الشرعية التي ترفع الى المحكمة وكان يسجل في مؤخرها ما كان يرده من أوامر وأحكام ومكاتبات بينه وبين بعض رجال الحكم والادارة ، كما يسجل الاسعار كلما اقتضى التسعير، ومن هذا القسم الاخير من سجلات المحاكم الشرعية ، يمكننا أن نحصل على معلومات قيمة عن الادارة والضرائب التي تجبى هناك ، وأنواعها ومقاديرها وأصول جبايتها وعن الاحداث التاريخية المحضة كما يمكننا أن نستقي أشياء عن أسعار الحاجيات اليومية وتطور الاسعار على ممر الايام ، وعن علاقات الشعب والسكان بالادارة والحكام ، ونظرا الى أن المهن كانت تنظم اداريا ، فان نظام المهن والحرف كلها في هذا القسم الذي في آخر بعض السجلات .

اما القسم القضائي المحض الذي هو عادة في أول السجل ، فيمكننا من معلومات قيمة عن كل مظاهر الحياة في المجتمع ، كما انها تضم احيانا اشياء فوق كل مرام عن النشاط التجاري والاقتصادي ووجهة التيارات التجارية وانواع الصادرات وأين تصدر وشتى السلع ، ومن أين ترد ، ذلك أن القاضي كان يقوم بدور كاتب العدل الغربي (Notaire) في أوروبا ، فهو الذي يسجل القروض والبيوعات عندما تبلغ قيمتها مستوى يستحق التسجيل ، فالاقرار بدين من فلان لفلان هو بلا أدنى ريب سندي (Bons) كما يطلق عليه الغربيون . وقد يكون سند دين محض أي سند قرض أو معاملة شرعية أو قد يكون سند لبيع موعود نستقي منه المعلومات عن السلع التي يتاجر بها ، كما نتوصل منه الى معرفة مستوى الربح أو الفائدة وقت تسجيل المعاملات الشرعية . وما من شك أن هناك أشياء تخول المرء بالحكم عن نفاق السوق وعن مدى النشاط التجاري والاقتصادي في عهد ما، وعن تطور ذلك خلال فترة معينة . ولا يخلو المهتم بتاريخ النقد ، أن يحصل على معلومات عن العملة وسعرها وتفاوت قيمتها على مر الايام ، كما يستطيع العثور على ما يخوله أن يقيس نقد البلد بالنقد الاجنبي .

اما مؤرخ علم الاجتماع فيجد مادة تتعلق بالقضايا العائلية من عقود النكاح والطلاق والتبني والعيالة ، ونفقات الايتام من تركات مورثيهم ، ونفقات الزوجات عند العدة وعند غيبة الزوج غيبة منقطعة ، ونفقات العبيد التي كان يسجلها القاضي ، وعن الرابطة العائلية وتفككها وارتباطها وعن أنواع الاختلافات التي كانت تعترض الحياة العائلية . كما أن المهور المؤجلة عند تسجيل النكاح سوف تعطي فكرة عن المستوى الاجتماعي وتعين الباحث على تصنيف أهل البلد الى طبقات حسب مستواهم الاقتصادي ، وتفيد عن نسبة كل طبقة من المجتمع ، والنفقات التي تخول المرء معرفة الحد الادنى للمعيشة ، وتطوره حسب الزمن وحسب المستوى الاجتماعي . اذ أن القاضي كان يقدر النفقة . وتتفاوت هاته حسب قيمة الميراث في حالة الموت، وحسب مستوى الزوج الاجتماعي عند تخليه عن زوجته .



الشكل رقم 2 . صفحة من سجلات المواريث الشرعية .

سجل رقم 4 من محاكم الشرع في بورصة .

وبالاضافة الى هـذا ، كان القاضي يقوم شخصيـا بتقسيم المـواريث ، ويتقاضى على ذلك آجرا تعين حده القوانين العرفية والادارية ، وقد تكـون المواريث في نفس السجل الذي يسجل فيه القاضي حججه ، ويمكن أن تكون في سجلات خـاصة .

ففي البلاد الكبيرة كالعاصمة وحلب وبورصة والقاهرة وغيرها ، لا بد أن تكون هناك سجلات مستقلة ، وحاكم مستقل تفوض اليه قضاء المواريث . ففي استانبول مثلا ، قاضي يهتم بالمـواريث التي كانت تدعى بالعسكريـة ، وكان يسمى هذا القاضي بـ : « القسام العسكري » ويجب ان لا نفهـم هنـا أن « عسكري » تعني جندي في هذا المضمار ، بل تعني كل شخص له صلـة بالحكم سواء أكان اداريـا او اقتصاديا . فالرأس مـالي الذي يعمـل لحسابـه ملتزما جباية الركائز من منجم معدني مـا ، والذي يعمل في ملاحة مـا ، أو يلتزم جباية ضريبة ما ، هو في عداد العسكريين كالجندي نفسه ، أمـا باقي أهل البلد من السوقة والمحترفة ، فكان يشرف على تقسيم مواريثهـم قسام آخر كان ينعت « بالقسام البلدي » . والذي يـدرس « دفاتر التركة » كمـا كانت تسمى طورا أو « دفاتر القسام العسكري أو البلدي » كما كانت تدعى طورا آخر ، من وجهة نظر اجتماعية ، فسيحصل على معلومـات ضافية عـن تركيب العائلة وعدد أفرادها ، وهل كانت مجزئة كالعائلة الحديثة أم كـانت أكبر ، وما كان نصيب تعدد الزوجات في اعداد التركات الواقعـة وما سوى ذلك ولكل ما يتعلق بالتركة نفسها . فان القاضي كان يقوم بتقييمها ، كمـا ويعطي فكرة اضافية عن الاسعار ، وقيمة كل تركة تفيد معرفتنا عن المستوى الاجتماعي والاقتصادي للعائلات ، ويمكن تصنيفها بحسب غناها الى طبقات وهذا ما يساعدنا على أخـذ صورة عن المجتمع وعن تطـور هذه الطبقـات مع الزمن ، ثم ان الاشياء الموجودة في التركة تفيـد عما كان يلبسه المواطـن ، وما كان يقتنيه لبيته ، وما كان يفرشه ، وأي شيء كان يستعمله في مطبخه وما الى ذلك مما لا يسجله تاريخ بهذا الاسهـاب ... ولسوف نعرف مـا اذا كان المتوفى محترفا أو تاجرا ، وماذا يوجد في حانوته وما هي أنـواع آلات صناعتـه ، وماذا كان يبيع وما هي قيمـة ذلك ... كما أننـا نديـن للقسام بأشياء أخرى للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، يضيق هذا المجال عن ذكرها .

وكانت المحاكم الشرعية تقـوم بمهمة دوائر الطابو أي (Cadastre) قديما ، فقد كانت تسجل شرعا ، بيع الدور والمنازل والدكاكين وايجارها . وباستطاعة الباحث ان يقيم خارطة لهذه البيوعات برسم البيوت ، مشيرا الى جيرانه من جوانبه الاربعة ، وما من شخص في بلد مهما جلت أو قلت أهميته الا وله ذكر ، رأسيا أو عرضيا في السجـلات ، فحتى الذي لا يرغب دخـول المحكمة ولم يضع قدمه فيها طيلة عمره ، كان يسجل عفوا لانه جار لأحد، باع بيته ، قد ذكره القاضي عندما حدد البيت ، على ان العقار وبيعـه يعطي فكرة عن معيشة الناس وعن أقسام بيوتهم وتعدد اقسامها ، وما فيهـا من وسائل الراحة وهل فيها مياه جارية وهل في كل منها بيوت للراحة وكم عدد غرفها وما سوى ذلك ...

هذه جوانب من سجـلات المحاكم الشرعيـة تمكن الباحث مـن دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي ، وهي تعد خير مثال لهذه المصادر الاساسية في هذا الموضوع الذي لم يأخذ حظه بعد من الاهتمام والبحث .

خليـل الساحلي
كلية الاقتصاد ـ جامعة استانبول

انطباعات حول أهمية الدين في الممتلكات الفرنسية بافريقيا

عبد الجليل التميمي

المدخـــل الـى الوثيقـــة

هاته الوثيقة عبارة عن المذكرة التى رفعت الى وزارة الحربية الفرنسية وحيث وجدناها فى وثائق وزارتها بفنسان ، لا تكشف المذكـرة عـن اسم محررها ولا الهيئة التى كتبتها وقامت بارسالها الى وزارة الحربية ، لا نعلم ايضا هل وصلت هاته المذكرة عن طريق الحاكم العسكرى الفرنسى بالجزائر ام ارسلت مباشرة الى باريس ؟ ويبدو ان ارسالها قد تم مباشرة الى وزارة الحربية ، ذلك ان هدفها كان نقد السياسة الفرنسية العامة فى الجزائر لكل ما يتعلق بالنشاط التبشيرى بالبلاد ؟ ولعل هذا هو السبب الذى حدا بكاتب المذكرة ان لا يكشف النقاب عن اسمـه ، ويستبعـد ان يكون قد وجههـا الى الحاكم العسكرى بالجزائر .

ان كاتب المذكرة كان يؤمن ويطـالب بفسح المجـال للنشاط التبشيرى بالجزائر ، وهو يعكس فى نفس الوقت تفكير طبقة من المهاجرين الفرنسيين الذين كانوا ينادون بذلك ، وخاصة رجال الدين الذين عبروا عن استيائهم لحصر السلطات العسكرية فعالياتهم التبشيرية بادىء الامر ، ولا يستغرب ان يكون كاتب المذكرة من رجال الكنيسة .

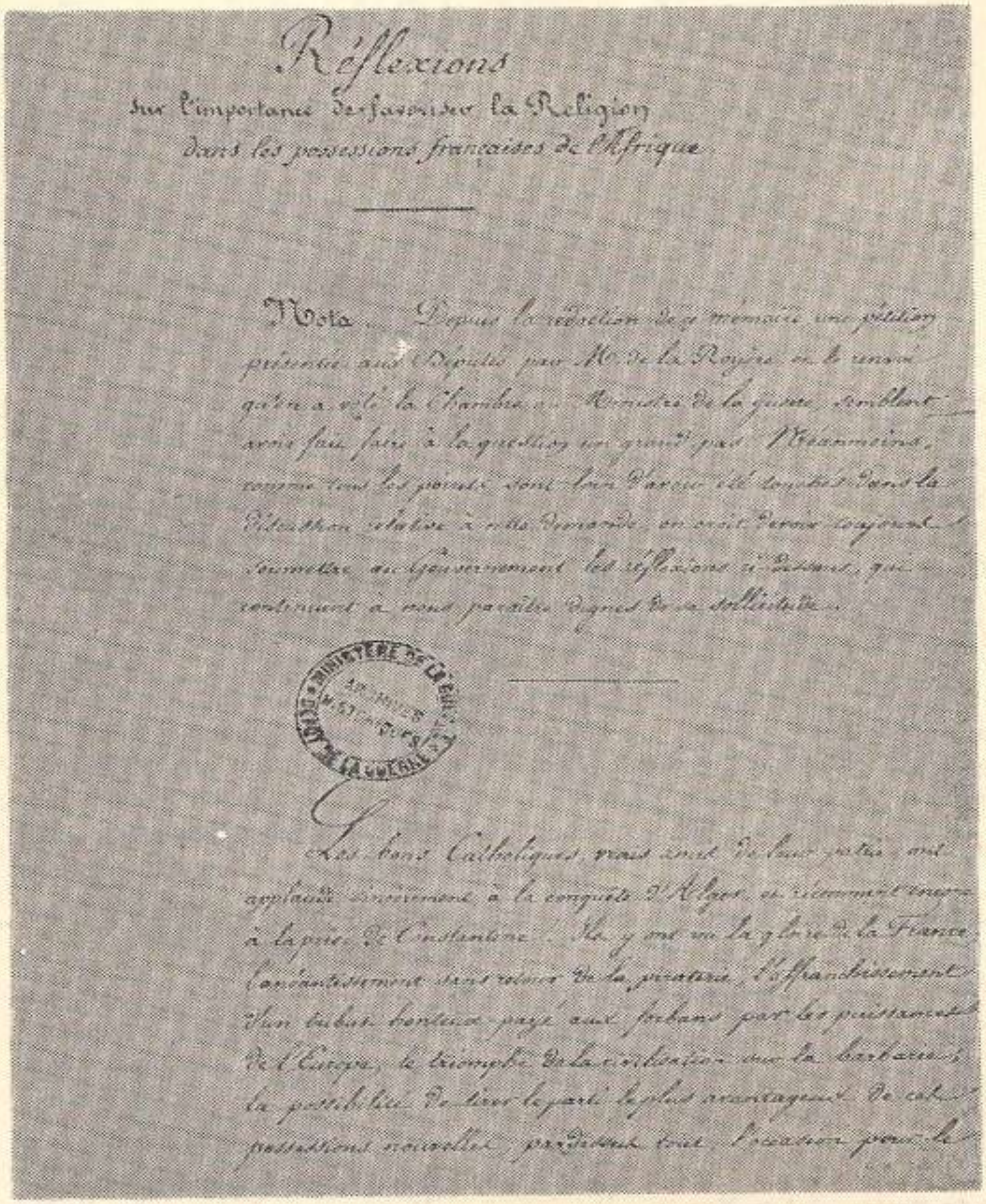
اما تاريخ كتابتها فيستدل عليه انه بعدسقوط مدينة قسنطينة سنة 1837 اى حوالى سنة 1838 ، كما سجل ذلك فى اول صفحة بقلم الرصاص ، كما يظهر ان من نتائج هذا التقرير الذى درس بوزارة الحربية ، تعيين دوبـوش (Dupuch) كاول اسقف بالجـزائر ، ومن هنا رأينا فـائدة فى نشر ترجمـة عربية لنصها الفرنسى خدمة للحقيقة التاريخية .

نـص الوثيقـــة :

ملاحظـــة : منذ تحرير هاته المذكرة ، رفع السيد دولا روايار (De La Royère) لائحة الى النواب كما تم اتخـاذ قـرار من طرف المجلس ورفع بعد ذلـك الى وزير الحربية ويبدو ان ذلك قد مكن القضية ان تخطو خطوة كبيرة الى الامام، وبما ان كل المسائل المتعلقة بهذا الطلب قد تجنبت اثارتها لدى المناقشة ، فانه

---

(1) أرشيف وزارة الحربية الفرنسية بفنسان
انظر :
Archives du Ministère de la Guerre à Vincennes, H 226.



Réflexions
sur l'importance de favoriser la Religion
dans les possessions françaises de l'Afrique.

Nota. — Depuis la rédaction de ce mémoire une pétition présentée aux Députés par M. de la Roquette [?] et le renvoi qu'en a voté la Chambre au Ministre de la guerre, semblent avoir fait faire à la question un grand pas. Néanmoins, comme tous les points sont loin d'avoir été touchés dans la discussion relative à cette demande, on croit devoir toujours soumettre au Gouvernement les réflexions suivantes, qui continuent à nous paraître dignes de sa sollicitude.

Les bons Catholiques, vrais amis de leur patrie, ont applaudi unanimement [?] à la conquête d'Alger et récemment encore à la prise de Constantine. Ils y ont vu la gloire de la France, l'anéantissement sans retour de la piraterie, l'affranchissement d'un tribut honteux payé aux forbans par les puissances de l'Europe, le triomphe de la civilisation sur la barbarie, la possibilité de tirer le parti le plus avantageux de ces possessions nouvelles, présentant toute [?] l'occasion pour la

الشكل رقم 3 . الصفحة الاولى من التقرير الذى رفع الى وزير الحربية الفرنسى .

ارشيف وزارة الحربية بفنسان : H 266

يعتقد ان من الواجب تقديم الانطباعات التالية الى الحكومة التى هى حقيق بطلب المساعدة منها .

* * *

ان المسيحيين الطيبين ، الاصدقاء الحقيقيين لوطنهم قد أيدوا مخلصين فتح الجزائر وكذلك احتلال مدينة قسنطينة الذى تم مؤخرا، لقد رأوا فى ذلك شرفا لفرنسا خصوصا وان القرصنة قد قضى عليها الى الابد وكذلك الضريبة المهينة التى تدفعها دول اروبا الكبرى الى هؤلاء القراصنة اللصوص ، ثم ان هذا النصر هو انتصار الحضارة على البربرية ، وهذا من شانه ان يمنحنا امكانية الاستفادة باكبر قدر ممكن من هاته الممتلكات الجديدة ، وعلاوة على ذلك فان الفرصة قد سنحت للمسيحية ان تتغلغل من جديد فى هذه الاقطار البائسة والتى كانت خاضعة لنفوذها قديما ، وعليه سوف نقصر انطباعاتنا حول هاته النقطة الاخيرة .

قام رجال الاقتصاد فى مناقشتهم الحيوية بدراسة الوضع بدقة كل حسب آرائه الخاصة ، حول مختلف الانظمة التى يجب اتباعها للاستفادة اقتصاديا من انتصارنا الباهر ، غير ان القلة من هؤلاء الاقتصاديين من تناول قضية حيوية ، هى ولا شك مرتبطة بنجاح الاجراءات المزمع تبنيها .

منذ حوالى ثمانى سنوات والعلم الفرنسى يخفق على سواحل افريقيا ولم نقم حتى الآن باى شىء من شانه ان يساعد على انتشار الدين وفوائده ، او بالاحرى كل ما تم كان يعمل على ايقاف تأثيره الفريد ، وعلى اية حال ، فلا نستطيع ان نفترض ان حكومة متبصرة ترجىء دراسة هذه المسالة الهامة، ان نظرة سريعة على الوضعية المؤلمة للدين المسيحى فى هذه المناطق المنكوبة الحظ ، لتبرهن على ضرورة الاهتمام بتطبيق اسرع وانجع علاج لهذه الامراض حتى لا نبقى نتالم منها ، ونفترض ان يكون الملك وحكومته لا يعلمان بذلك .

ان المعلومات التى نقدمها هنا والتى استقيناها من مصادر موثوق بها ، ستجد ولا شك الايمان بها لدى العقول النيرة ، واذا وجدت هذه المعلومات طريقها الى المسؤولين الذين بحكم مناصبهم سيناقشون هذه المصالح ، فاننا نرجو منهم ان يولوها انتباها جديا ، اننا نرفع هذه الملاحظات بدون تحسر ، ذلك انها امليت علينا من احساسنا العميق ورغبتنا بعدم استمرار هذه الاوضاع المؤلمة .

منذ ان اخضع سلاحنا الجزائر ، بعث البابا عددا من رجال الدين ممن وهبوا حياتهم خدمة للكنيسة وانتصارا لله ، وقد اقترح على البابا واخذ موافقته ، فى تعيين أحد القساوسة ، غير ان من تعين ، لتشابه فى الاسم ، قلد لقب البابا العام للبعثة الافريقية ، ونعلن باسف انه لم يشرف الصبغة الكهنوتية ، وانه اخيرا نتيجة التماس البابوية الملح ، امرته الحكومة بمغادرة الجزائر وقد تالم كثيرا القساوسة الذين كانوا تحت امرته ، مما دفع باحدهم الى مغادرة البلاد وان احدا آخر مقيما بعنابة ، لم يتمكن من ممارسة مهام دينه ، وان عددا آخر من الكهنة قد منعوه من نشاطه ، دون ان يكلفوا بذلك ، ولا صبغة رسمية لهم .

وقد تمكن هذا القسيس بفضل حسن سلوكه ، ان يجلب تقدير القواد العسكريين له واحترام المسلمين انفسهم وحيث لم يضنوا عليه ابدا منذ اقامته بين ظهرانيهم ، بتقديم علامات الثقة كلما سنحت المناسبة بذلك .

وفى اطار خدمته للخير ، فتح مدرسة لابناء المعمرين والعسكريين غير ان الثقة التى منحها للناس جميعا ، جلبت اليه بادىء الامر ، اثنى عشر شابا مسلما ليتعلموا على يديه ، وكان ذلك رمزا وتقديرا له ، وكان على السلطة الفرنسية ، فيما يبدو ، ان تسر لهذا التقارب وهذا الاندماج الاختيارى ، بل على العكس ، ظنت تلك السلطة ، ولا ادرى الى اى شىء كان استنادهـا ، ان ذلك يعتبر خرقا لحرية العبادة ، فأمرته بطرد الشبان المسلمين .

وفى نفس المدة فى الجزائر ، طلبت مسلمة اعتناق الديانة المسيحية (2) ولما وصل هذاالحادث الى علم القضاة الفرنسيين ، عبروا عن تخوفاتهم ، ونتج عن ذلك اجراء تحقيق فى القضية ، وكأنها قضية اجرام ، ومن حسن الحظ ان هاته المسلمة المرتدة عن دينها اعلنت انها اعتنقت المذهب الكاثوليكى بمحض اختيارها وقد اقتصر كل شىء على هذا النشاط الغيور والذى لا نجرؤ على وصفه ، وعليه لم تقم الادارة بتتبعات ضد القس الذى لم يفعل شيئا سوى انه لبى نداء المسيح لخدمة هاته المسلمة المرتدة . فماذا نامل لخدمة الدين اذا كان القساوسة يمنعون عن القيام بواجباتهم ؟

وبعد مغادرة نائب البابا العام بالبلاد، عينت البابوية قسا شابا كرئيس للبعثة ، غير انه لم يقدر على القيام باى مشروع خيرى وسط هذه العراقيل المتزايدة يوما بعد يوم والتى اعترضت سبيله فى كل خطوة ، وقد اقتصر الامر اذن على بعض القساوسة وعدد آخر من المغـامرين ، غـادر اكثرهم ديرهـم مشوهين او هم ما زالوا تحت ثقل التانيب واللوم .

ان اسطورة القس ريب (Rel) على منـوال القس شاتـال (à la façon de Châtel) (3) والذى اطرده نائب البابا العام، قد تلقى سلطات من احد كهنة احد الفرق ، وحيث لا يتمتع هذا الاخير بها ايضا، لتبرهن على مدى الفوضى التي تسود افريقيا ، وضرورة اتخاذ قرار لمواجهة الوضعية ، ووضع حد لمثل هذه الفضائح . وليس هذا كل شىء ، اننا نوقع بالمسلمين ، ونوحى اليهم باحساس منطقى بعدم الاكتراث او نعمل حتى على اثارتهم ونجعل انفسنا هدفا لاعدائنا فى هذه المناطق لنثير الاستياء ضدنـا بسبب فقـدان الايمان فقدانا مطلقا، وكذلك لمظهر الاتحاد العلنى الذى اظهره العدد الاكبر من مواطنينا . اليس من المخجل ان ينـادى اشخاص ، يمثلون فرنسا ، انهـم لا يؤمنون بالدين وان الامة الفرنسية امة ملحدة ، اننا نعلم جواب رئيس احد القبائل العربية (4) عندما اراد امضاء تسوية مع احد جنرالات جيشنا عند ما قال « ايها الجنرال ان كل ما تقترحه على ملائم جدا ، غير اننى اتساءل ما هى الضمانات التى يمكنك توفيرها لى بتنفيذ هذه الوعود خصوصا وانت لا تؤمن بالله ؟ » .

ويمكننـا ان نعـدد الامثلـة ، فالى جانب هـذا المثـال السيىء العـام توجد مضرة متمثلـة فى هؤلاء القساوسة الاشرار الذيـن كنا قـد تحدثنـا

(2) هي عائشة بنت محمد ، راجع :
ESQUER Gabriel, Correspondance du Général Drouet d'Erlon ,pp. 123 - 125, Paris, 1926.

(3) قصة القس شاتال، هو يسوعى حاول اغتيال الملك هنري الرابع يوم 27 ديسمبر 1594، غير أن الملك جرح فقط في شفتيه بضربة سكين ، ونتيجة لذلك مزق شاتـال شر ممزق ونفي اليسوعيون من فرنسا ، ويضرب هذا المثل لهذا النوع من القساوسة الذين مضرتهم تلحق اكبر الخسائر بالمجموعة المسيحية .

(4) هي قصة الامير عبد القادر مع الجنرال ديمشال الذى عقد معه معاهدة سميت باسمه سنة 1834 .

عنهم والذين كانوا يتركون كل المرضى فى المستشفيات يموتون دون ان يسعفوهم بالنجدات، فكيف يمكن لنا اذن ان نقتنع بسلامة الوضعية الاخلاقية والدينيه لمتلكاتنا بافريقيا .

ومن جهة أخرى وحتى نكمل هذه الصورة القاتمة الحزينة ، نرى أن الصحافه اعلنت منذ أشهر عن تحرك احد القساوسه البروتستنت (Protestant) فى اتجاه الجزائر للعمل على اقامه الشعائر الدينيه . ماذا سيعمل الملك او حكومته فى مثل هذه الظروف ؟ هل سيبقى متفرجا لا يحرك ساكنا تجاه هذا الاضطراب المؤسف ؟ اليس من واجبه معالجة هذه الامراض ؟ اما عكس ذلك فانه يتحمل الخطر مسؤوليه . وعليه فانه من الحكمة والفائدة، المبادرة باصلاح هذه الاخطاء الفاحشه، ذلك ان سعادة رعاياه الجدد ، وهو المسؤول عن ذلك، تقتضى منه توفيرها لهم .

لقد خطط سان لوى (Saint Louis) لفتح افريقيا ، ولكن لاى هدف ؟ انا نعلم ذلك لقد كان هدفه احياء المسيحية . ماذا ستكون فرحة هذا الملك العظيم لو توجت مساعيه بالنجاح ؟ اليس على حفيده ان يستغل هذه المناسبة الطيبة والتى تمنحها اياه العناية الالاهية ليحقق دعاء الملك الهمام ، وحيث يحمل اليوم تاجه الملكى. ليس ثمة ما يشين، فهو بقيامه بهاته المهمة الشريفة، سيخلد اسمه ويستميل اعجاب كل الناس الطيبين والاعتراف بالجميل لكل من ساهم فى تعزيز فضيلة العقيدة ، كما انه يجلب لنفسه وافر الدعوات من العناية الالاهية . الا يفرض هذا الاعتراف على الملك واجبين اثنين ؟ الم يكن الدين قد وفر للملك السعادة العائليه بزواجه من امرأة ورعة ، وابناء تلقوا تربية دينية سماوية ؟ الم تدخل بناته الاميرات ، باشراف من امهن الورعة ، بهجة وسرورا على حياته ؟

واخيرا اذا كان الملك قد توجت جبهته بحمله التاج ، الم يكن ذلك من العلى القدير؛ ان نوع السلطة والنفوذ الذى يتمتع به الملوك باختلاف ازمنتهم وامكنتهم، تاتى لهم من العناية الالاهية ، ومثل هذه الاسباب من شانها ان تدفع الملك لوى فيليب الى القيام بنشاط لصالح الدين ، ولكن هناك فضيلة أخرى أكثر دلالة وتاييدا ، هى الحماية الالاهية التى انقذته من رصاص قاتل على يد مجرمين جبناء (5) . وقد اعلن الملك نفسه هاته الحقيقة انه نجا من هاته المؤامرة الحقيرة بفضل عناية المسيح ، وقد رغب الملك ان تنضم اليه الجهود فى كل ممالكه لاظهار الامتنان (والعبودية) .

ولكن الا توجد وسيلة للتعبير عن تقدير الملك أحسن من العمل على اتساع الامبراطورية بين الامم وخاصة بين الشعوب التى لا تعلم عنه شيئا ؟

انه من الحكمة أن يعمل الملك والحكومة على تمدين هذه الشعوب البربرية ، هل يظن ان ننجح فى ذلك بغير الدين المسيحى ؟ لا نستطيع ان نصل الى هذا الهدف باستعمال قوة السلاح او الرسائل ذات البذخ التافه . ان القوة لا تخلق الا العبيد ، اما البذخ فسيفسد القلوب ويذبل الارواح ، وعلى العكس من ذلك ، ان الدين الكاثوليكى يملك وحده ، وبدرجة عالية ، فى كل مكان اردناه سر ادخال حضارة ، هى بدون جدال ، اكثر كمالا من غيرها ذات الفلسفات الباطلة .

---

(5) تعرض الملك لعدة محاولات لاغتياله وقد نجا منها كلها .

لنسمح لعدد من خيرة القساوسة الذين تملا محبة الله قلوبهم من الاقامة بالجزائر ثم لنحمي حرية اديرتهم ، ولا شك انهم سيقضون على ظلمات البربرية ويغيرون هؤلاء العرب الجهل الطغاة الى آدميين آخرين ، ان خراب هذه المناطق الفظيع، يرجع تاريخه الى ضياع مشعل الايمان، وكم هي الخصال التي ضاعت بضياع انصار ترتوليان (Tertullien) وسيبريان (Cyprien) والقديس اغسطينوس (Augustin) وكم هي رائعة الصورة التي يقدمها هذا الشعب ، المتاخر اليوم ، عندما كان يحتضن اكثر من اربعمائة قس كانوا ينشرون بسخاء تعاليم الانجيل ؟ كان عدد كبير من الاحبار يطالب بنشر محاسن الدعوة من جديد في هذه الاماكن التي تبللت بعرق جبينهم ، نعم هناك حظوظ كبيرة بنجاح مسعى الدين .

ما اعظم العجائب التي تمت لفائدة همج امريكا ! كم هي الخوارق التي تحققت حتى يومنا هذا في جزر قمبيار (Iles Gambiers) وحيث عرف الاهالي سابقا بانهم ياكلون لحوم بعضهم بعضا ! اما اليوم فقد عرفوا ، بعد احتضانهم الدين المسيحي ، اسمى القيم الاخلاقية . ان تاريخ باراقواي (Paraguai) ليشهد للجاحدين العنيدين بمعجزات العقيدة والتي لا سبيل الى نكرانها ، وعليه لماذا لا تتجدد مثل هذه المعجزات على ارض افريقيا ؟ انه من فائدة الملك ايضا وحكومته ان يقوما بهذا النشاط ، ان تعصب المسلمين الاعمى جعلهم اعداء المسيحية ، ان المسلمين ينحنون خوفا لحكمنا ويتحملون بفارغ صبر السيطرة التي تفرضها عليهم قوتنا ، ولكن هل سينقادون الينا ؟ لا . كم من مصيبة فجائية نزلت على فيالق جيشنا ولم يبادر المسلمون الى مساعدتهم ، بل على العكس اننا نراهم يستغلون ، بابتهاج وحشي هاته الفرصة الطيبة لتقتيل اخواننا والقضاء على الهيمنة التي فرضناها عليهم، غير انهم اذا اعتنقوا الدين المسيحي ، فانهم سيظهرون لنا الطاعة ويصبحون اخوانا لنا، وبالنتيجة ستكون آلامنا نفس آلامهم وافراحنا وتقدمنا هي افراحهم وتقدمهم . اما اذا مقتوا ديننا ، فذلك لانهم يجهلونه ، وكيف سيعرفونه اذا لم نرسل اليهم اطلاقا قساوسة للتعريف بديننا ونشره بينهم؟ ولو لم يشاهدوا فضائح مشينة وتعرفوا على قساوسة ورعين ، عملوا على الاتصال بهم ، فاننا نستطيع ان نجلبهم الى قضيتنا . ان المثال الذي نضربه لما تم بمدينة عنابة لاحسن دليل على ذلك. الا نحاول ان نقوم بهذا الفتح السلمي والذي لا يتطلب اراقة اية قطرة من الدم وحيث ستكون نتائجه مشجعة ومفيدة ؟ الا تتطلب سعادة هؤلاء الاشقياء ان نقوم بمثل هذه المحاولة ؟ اننا عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة ، سنضع حدا لهذا الفيض الشنيع لطبائعهم واخلاقهم والذي يمتاز به هؤلاء البدو الذين يسيرهم القرآن .

ونتيجة لذلك سنقضي على الرق ونعيد لهؤلاء الناس كرامتهم ونضعهم على طريق الهداية السماوية، كما نعلمهم كل وسائل السعادة في الحياة والتي يحلم بها كل آدمي على الارض. ان الشعوب التي اعتنقت الدين المسيحي مؤخرا قد اظهرت غيرة بناءة وليس لهؤلاء المسلمين سوى مهجة وروح واحدة واحساسا بالشفقة .

ماذا سنقول لو اردنا ان نطنب الحديث حول هذا الموضوع ؟ ما العمل اذن ؟ اليكم هذا البرنامج :

1) اقامة اسقف او اثنين بالجزائر .

ان عمل الاسقف من شأنه ان يطهر المنطقة ويصرف القساوسة الغير مرغوب فيهم لخطورتهم وينشط من كان طيبا ومخلصا بوعظه وارشاده وسيرته، وبذلك يجلب تقدير الناس للدين والاحترام اللائق به ، كما يشرع فى نشر الدعوة للناس جميعا وكانه مبعوث العناية الالاهية ويعمل على ايجاد علاقات مصالح مع السلطات العليا ، كما يشرف على تنصيب خلافة القساوسة الى آخره . . .

2) يجب ان ينضم اليه عدد من رجال الدين المخلصين الذين يتم اختيارهم على يد الاكليرس العالمى (Le clergé séculier) او المجمع ، امثال مجمع سان فانسان دوبول (St Vincent de Paul) الذى اوفد سنة 1792 بعثة الى الجزائر لتعتنى بالاسرى المسيحين هناك .

3) تعيين عدد من الكهان ضمن الفرق . ان الحكومة تستطيع ان تسترشد بنصائح الاسقف حول مستوى الثقة التى يستحقها من يدعى للقيام بهاته الوظيفة الهامة .

واذا اتخذت هذه الاجراءات الحكيمة ، فانه ليس من المستحيل ، كما يتصور ، ان نحيي لدى جنودنا الشعور الدينى وان نحولهم الى مسيحيين ، فى جو ، كما نعلم، قد سجلت الامراض عددا من الضحايا . اما من كانوا يتمتعون بصحة جيدة وجابهوا التوسلات الملحة، فانهم سيعيرون اذنا صاغية وطيعة فى اللحظات الاخيرة عند ما تباغتهم يد المنون .

ان تقدير سلطة احد القساوسة الطيبين قد بدات تتجلى مؤخرا ، ذلك ان الرئيس بنفوا (Banvoy) هذا المبشر الغيور الذى استقر بمدينة عنابة منذ سنوات ، قد ترقى الى كاهن فيالق المدينة ، خلافا لغيره . ان التامر ، ولا شك ، قد ابرز مظهر الثقة والتقدير الذى ابدته السلطات العسكرية وتستطيع هاته الاخيرة عند الحاجة ان تشهد بذلك .

4) بالنسبة للسكان المحليين ، نحتفظ بحرية تثقيفهم والاتصال بهم واستقبالهم فى المعاهد التى تنشر الدين لتكوينهم حسب مختلف الحاجيات . ان مهمة رجال الكنيسة تقتصر على تحقيق هذه المصالح .

ويمكن ان يعترض لتحقيق ذلك بكثرة المصاريف الضرورية، لا. لا تعتقدوا فى ذلك اننا اذا قارنا هذا المشروع بغيره ، فاننا نلاحظ انه تصرف مبالغ اكثر قيمة لمشاريع أقل أهمية من هذه ، الف مرة .

ان انتصار كلمة الله ومصلحة فرنسا وسعادة هؤلاء الوحوش ، ثم تثبيت قوتنا بافريقيا ، هى اسباب ذات خطورة كبيرة من شانها ان تبرر تخصيص مبلغ ضئيل من الميزانية لفائدة هذا المشروع الكبير ، ومع هذا ، فان الكنيسة (الدين) ستسدد للدولة مائة مرة مقدار التضحيات التى ستفرض عليها .

كيف حققت ليبيا استقلالها

من ذكريات محمد فاضل الجمالي

محمد فاضل الجمالي

رزحت ليبيا المجاهدة تحت نير الاستعمار الفاشي الايطالي نحو ثلث قرن . ولم يدر بخلد أحد قبل الحرب العالمية الثانية بأن هذا الاستعمار الغاشم سينجلي عن ليبيا بهذه السرعة المدهشة . والذى ساعد ليبيا على تحقيق الاستقلال أمران خطيران : اولهما انهيار ايطالية الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ، وثانيهما اختلاف الدول الكبرى فيما بينها على تقسيم الغنائم التى خلفتها ايطالية وقرارهم بايداع المستعمرات الايطالية الى منظمة الامم المتحدة لتتولى تقرير مصيرها . فلولا انهيار ايطالية الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ، لاستمر الاستعمار الايطالى فى ليبيا الى ما شاء الله . ولولا اختلاف الدول الكبرى فيما بينها حول تقسيم الغنائم ومناطق النفوذ فى المستعمرات الايطالية السابقة لحل استعمار جديد محل الاستعمار الايطالى الفاشي . ولقد ساهم العراق مساهمة متواضعة فى العمل على تخليص ليبيا من براثن الاستعمار قديمه وحديثه ، ووقف وقفة الاخ المدافع عن أخيه . وهانا أسجل ثلاثة مواقف من مواقف العراق غير المعروفة وغير المسجلة فى تاريخ ليبيا الحديث على ما نعلم .

أولا : لقد عقد مؤتمر الصلح مع ايطالية فى قصر لكسمبرغ (Palais du Luxembourg) فى باريس فى خريف 1946 ، ولما كان العراق هو الدولة العربية الوحيدة التى كانت اعلنت الحرب على ايطالية الفاشية ، فقد تقدم بطلب الى الدول المحاربة لحضور مؤتمر الصلح هذا وابداء وجهة نظره أمامه . وكان القصد الاساسي من حضور المؤتمر هو المطالبة بحق ليبيا فى الحرية والاستقلال . لبى المؤتمرون طلب العراق ولما كنت وزيرا للخارجية العراقية آنذاك شددت الرحال الى باريس وحضرت المؤتمر ، وألقيت خطابا فى اجتماع عام ترأسه المستر ارنست بيفن (Ernest Bevin) وزير خارجية بريطانية . ولدى الوثيقة التالية من اوراق المؤتمر أنقلها الى العربية :

مؤتمر باريس
قصر لكسمبرغ

خطاب الجمالى
مندوب العراق

فى الجلسة العامة فى 6 سبتمبر فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

« حضرة الرئيس :
أعضاء مؤتمر الصلح المحترمين :

يسرني كثيرا أن أعبر لكم جميعا عن تشكرات حكومتي على قراركم الفوري الاجماعي بأن تستمعوا لوجهة نظر العراق حول معاهدة الصلح مع ايطالية . اني لمتأكد من ان الذى دفعكم الى ذلك هو حقيقة كون العراق عمل أقصى ما يستطيع وقدم نصيبه فى سبيل تحقيق النصر . فان العراق قد

وضع فعلا كل وسائله وموارده تحت تصرف الحلفاء لكسب الحرب » (وبعد معالجة النواحى القانونية حول ضرورة مساهمة العراق فى توقيع معاهدة الصلح مع ايطالية) يستمر الخطاب كما يلى :

« ان ايطالية الفاشية مارست أساليب استعمارية فتاكة فى سبيل سحق واستعباد شعب ليبيا العربى مخالفة بذلك أبسط قواعد العدالة والحقوق الانسانية وناكرة المبادىء الدمقراطية السامية التى يتضمنها ميثاق الامم المتحدة . والحكومة العراقية ترغب فى أن ترى هذه المظلمة تزال عن ليبيا العربية دفعة واحدة والى الآبد .

« ولما كانت الحكومة العراقية تربطها مع مصر كل الروابط التى أدت الى تأسيس جامعة الدول العربية فانها (اى الحكومة العراقية) تأسف للخسائر التى لحقت بمصر بسبب الاعتداء الايطالى عليها ، ولذلك فالحكومة العراقية تؤيد مصر فى مطالبها فى الحصول على التعويض العادل عن الخسائر التى لحقت بها اثناء الحرب .

« ولما كانت الحكومة العراقية قد أعلنت الحرب على ايطالية مدفوعة بغريزة الحفاظ على النفس من جهة ولاستعدادها للكفاح من أجل المبادىء الدمقراطية من جهة أخرى ، فلا يسعها الا ان تعرب عن قرفها وشجبها لكل الاعمال العدوانية التى ارتكبتها ايطالية الفاشية ان فى العراق او فى ليبيا العربية ، وان حكومة العراق لتأمل مخلصة ان تسلك ايطالية الجديدة سبلا دمقراطية مجردة من أية نوايا عدوانية أو استعمارية، وانى لأدعو هذا المؤتمر بجد بالا يقر اعادة المستعمرات الايطالية الى ايطالية بأى وجه من الوجوه . واطلب بكل قوة الاعتراف غير المشروط بحرية واستقلال ليبيا العربية . فان شعب ليبيا البطل كافح الفاشية الايطالية منذ أن وجدت وحتى سقوطها. والحكومة العراقية تعتقد بقوة بأن ليس هناك ضمان للسلم والأمن فى العالم من دون تطبيق مبدأ تقرير المصير الذاتى لكل الشعوب . وهذا يصدق بوجه خاص على الشعوب ذات التاريخ والحضارة ، والشعوب المناضلة من أجل نيل حريتها واستقلالها . وان شعب ليبيا العربى هو بالتأكيد فى مقدمة الشعوب التى هى أهل لممارسة حق تقرير المصير الذاتى والتمتع بالحرية والاستقلال . وفى حالة وجود أسباب لا مناص منها تستوجب تأجيل تمتع ليبيا بالاستقلال موقتا ، ووجدت ضرورة لتطبيق نظام الوصاية لفترة موقتة ، فالحكومة العراقية تعتقد ان جامعة الدول العربية أو أحد أعضائها يجب ان يتعهد الأخذ بيد ليبيا وذلك لما يربط بين ليبيا وبقية أقطار العالم العربى من روابط الثقافة واللغة والتاريخ والأخوة .

« هذه باختصار هى آراء الحكومة العراقية فيما يتعلق بمعاهدة الصلح مع ايطالية ، أبسطها باحترام لأخذها بعين الاعتبار وبعناية وعطف . وهى موحاة من رغبة صادقة لاحلال سلام دائم مؤسس على الحق والعدل ، وهى المبادىء التى نرجو أن يهتدى بها هذا المؤتمر فى كل مقرراته وتعهداته » .

كان ذلك فى سبتمبر 1946 وان هذه الوثيقة التاريخية لم تنشر من قبل على ما نعلم .

هذا ولم تستطع الدول الكبرى أن تتفق فيما بينها على طريقة التصرف بالمستعمرات الايطالية . فقد كانت بريطانية تريد الوصاية على برقة ، واتفقت مع ايطالية على ان تكون هذه وصية على طرابلس . وكانت فزان تحت

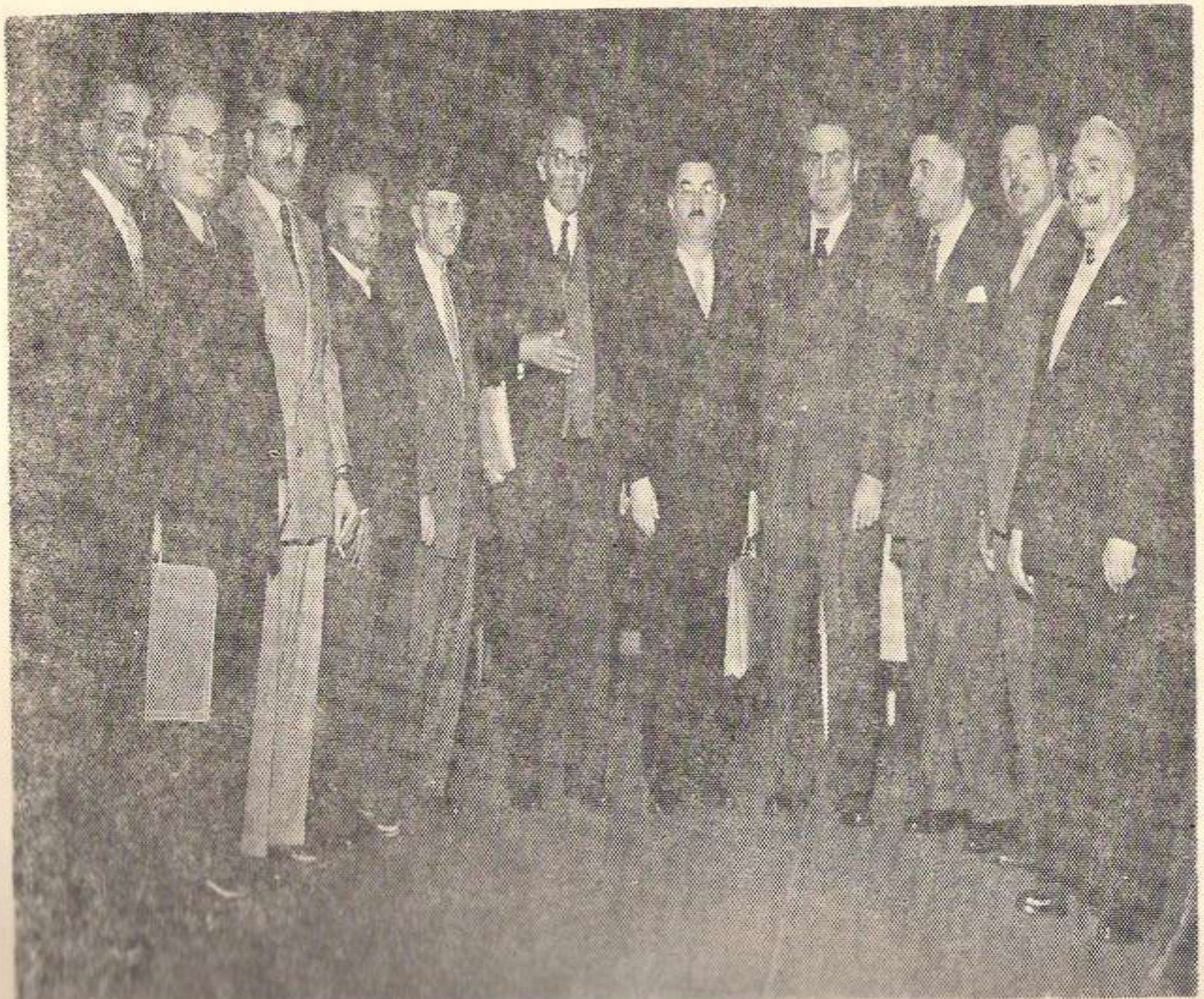
الاحتلال الفرنسي وكانت روسية السوفيتية تريد قاعدة بحرية لها في طرابلس . كما ان الولايات المتحدة الامريكية قد أسست قاعدة جوية لها بالقرب من طرابلس . وهكذا فقد تضاربت مصالح الدول الكبرى لحسن الحظ ، فجيء بالقضية الى الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة .

ثانيا : وفي الامم المتحدة جيء باقتراح هو مشروع بيفن ــ سفورزا . والمستر بيفن هو وزير خارجية بريطانية والكونت سفورزا (Sforza) هو وزير خارجية ايطاليا . والاقتراح الذى عرض على الجمعية العامة للامم المتحدة باسم الوزيرين يقضي بمنح بريطانية الوصاية على « برقة » ومنح ايطاليا الوصاية على « طرابلس » . لم أذهب الى الجمعية العامة في الامم المتحدة في الدورة التي عرض فيها هذا الاقتراح ، اذ ترأس الوفد العراقي في تلك الدورة المرحوم العين توفيق السويدي (رئيس وزراء ووزير خارجية سابق) وقد ساهم الوفد العراقي بكل نشاط في مقاومة مشروع بيفن ــ سفورزا ، وهزم المشروع بصوت واحد هو صوت هيتي كما هو معلوم ، ولم تحل القضية في تلك الدورة بل أجل النظر فيها الى الدورة القادمة .

حضرت الدورة التالية للجمعية العامة رئيسا للوفد العراقي ، فكان لزاما علينا ان نجد مخرجا من الازمة التي وجدنا فيها . اذ ان أكثرية الآراء كانت الى جانب مشروع بيفن ــ سفورزا ، ولم يسقط الاقتراح الا بصوت واحد أي أن لدى بيفن ــ سفورزا ثلثي الآراء ناقصا واحد . ونحن نحتاج الى ثلثي الآراء اذا أردنا ان نحصل على قرار باستقلال ليبيا .

ولما كان الكونت سفورزا موجودا في نيويورك وهو يتردد على ليك سكسس (Lake Success) مقر الامم المتحدة آنذاك ويتصل بالوفود الاوروبية ووفود أميركا اللاتينية ، رأينا من الضروري ان نبدأ بحل المشكلة معه فنصرفه نهائيا عن أطماع ايطالية بطرابلس . ولهذا الغرض تم الاتفاق على أن يقوم الدكتور شارل مالك مندوب لبنان بترتيب اجتماع خاص في نادي خريجي جامعة هارفرد في مدينة نيويورك وهو نادي ينتمي اليه الدكتور شارل مالك بوصفه أحد خريجي جامعة هارفرد . فاجتمعنا مع الكونت سفورزا على الشاي في نادي خريجي جامعة هارفرد . فأبدي لنا الكونت سفورزا رغبة ايطالية الأكيدة بأن تتخلص من سوء السمعة التي لحقتها بسبب الفاشية ، وأنه يريد صداقة العالم العربي ، كما يريد رد الاعتبار لايطاليا في مستعمراتها السابقة . فقلت له صراحة بأن موضوع وصاية ايطالية على طرابلس من الامور المرفوضة التي لا تقبل النقاش ، وأن الصداقة مع العالم العربي تتطلب مؤازرته الأكيدة في تحقيق استقلال ليبيا. على اننا سوف ندرس موضوع المستعمرات الايطالية الاخرى في اجتماع الوفود الآسيوية الافريقية ، لنرى ان كان في الامكان اعطاء ايطالية فرصة تحسين سمعتها والتخلص من وصمة الاستعمار والفاشية ثم نجتمع به ثانية. ولما رأى الكونت سفورزا صلابة الموقف العربي ، سلم بحق ليبيا بالاستقلال ووعد بالمؤازرة على ان تعوض ايطالية بالوصاية على المستعمرات الايطالية الاخرى . وهكذا خرجنا من اجتماع نادي خريجي جامعة هارفرد وقد زالت عقبة هامة من طريق حصول ليبيا على الاستقلال . وهذه حادثة لم يسجلها التاريخ على ما نعلم .

ثالثا : عقبة ثانية في طريق الحصول على الاصوات الكافية (أى الثلثين) لاستقلال ليبيا ، وهي موقف بريطانية العظمى . فقد بذلنا جهودا



الشكل رقم 4 . الوفد الليبي الى الامم المتحدة سنة 1949 يتوسطهم السيد بشير السعداوي والى شماله الدكتور فاضل الجمالي (العراق) فالدكتور شارل مالك (لبنان) .
(أخذت هذه الصورة في مقر الامم المتحدة بعد فوز ليبيا بقرار الاستقلال) .

من وثائق الاستاذ محمد فاضل الجمالي الشخصية .

شخصية مع صديقنا المستر ارنست بيفن وزير خارجية بريطانية ومع رئيس الوفد البريطانى فى تلك الدورة الوزير هكتر مكنيل (Hector Mc Neil) وكانت تربطنا به صداقة شخصية ايضا ، ليوافقوا على استقلال ليبيا ويؤيدونا لنضمن الثلثين من الاصوات . ولكن المستر مكنيل أصر على أن حكومته لا تؤيد الاستقلال الا على أساس أن تصبح ليبيا **دولة اتحادية** . ولما كان من المحقق عدم امكان حصولنا على ثلثى الاصوات ما لم نضمن تأييد بريطانية ومن معها ، أصبح الخيار واضحا : اما الحصول على قرار بالاستقلال على أسس اتحادية أو عدم الحصول على قرار بالاستقلال لعدم توفر الاصوات المطلوبة ، وبعد المداولة مع أعضاء الوفد الليبى (الوفود الليبية) الى الامم المتحدة ، تم التفاهم على قبول مبدأ الاستقلال على اسس اتحادية ، اذ ما الذى يمنع تحقيق الوحدة بعد الحصول على الاستقلال . وهكذا كان وتم التصويت على أن تصبح ليبيا دولة اتحادية مستقلة بعد ثلاث سنوات . وعين لها مندوب من الامم المتحدة هو السيد أدريان بلت الهولندى (Adrien Pelt) ليشرف على اعداد جهاز الاستقلال . وكان لى شرف اقامة حفلة عشاء كبرى فى اوتيل كريون (Hôtel Crillon) فى باريس فى بداية سنة 1951 على شرف استقلال ليبيا .

هذه حقائق تاريخية بل سطور فى تاريخ ليبيا الحديث أسجلها لأول مرة .

محمد فاضل الجمالى

كلية الآداب ـ الجامعة التونسية

من سجلات محاكم الشرع في بورصة :

مغاربة في تركيا في آخر القرن الخامس عشر

خليل الساحلي

كان يفد على مدينة بورصة في مؤخر القرن الخامس عشر تجار من اصقاع كثيرة : كالهند ، واليمن ، ومصر ، وشمال افريقيا . وكان الوافدون عليها من مصريين وهنود وسوريين ومغاربة واوروبيين من بندقيين وجنويين وفلورانسيين ، يؤمونها قصد التجارة والسياحة وربما طاب المقام بها للبعض منهم فاتخذها موطنا ، ومنهم من تجاوزها وانتقل الى القسم الغربي من المملكة العثمانية ، اى جنوبي شرقي اوروبا ، وهو ما يسمى ببلاد الروم عند العثمانيين (روم ايلى) (1) .

ان الذى حدا بالمسلمين الى التغلغل في الاناضول هو الفتح اولا ، ثم التجارة والسياحة ، ولعل فتح القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر ، كان له الاثر الكبير في تنشيط هذه الحركة ، فاقبل على هذه المدينة المغامرون والتجار والفاتحون والعلماء من كل انحاء العالم الاسلامي ، كما ادى بالبزنطيين الى الهجرة ومغادرة هذه البلاد الى اوروبا ، وحيث انبعثت فيها الحركة العلمية والفنية النشيطة التى انبثق عنها عصر النور هناك .

وبورصة هي مدينة تقع جنوب بحر مرمرة في الاناضول ، لا تبعد عن البحر الا قليلا ، وقد عرفت نشاطا كبيرا في الصناعة والتجارة . وقد اتخذها العثمانيون عاصمة لهم قبل فتح ادرنة (Ederine) الواقعة في المنطقة الاوروبية . وتخلوا عنها لادرنة اولا ، ثم للعاصمة الطبيعية القسطنطينية او استانبول كما تسميها سجلات المحاكم الشرعية ، واحيانا اسلامبول (اى مسلموها كثيرون) .

واشتهرت بورصة بنسج الاقمشة الحريرية الفاخرة ، ولها سوق نافقة في الاوساط الحاكمة في الدولة العثمانية وفي الاسواق الاوروبية ، ذلك ان موقعها كان محط قوافل العجم والعرب ، وهي ملتقى للتبادل التجارى بين الاوروبيين والشرقيين في الحرير والتوابل وغيرها من البضائع المختلفة .

وتعتبر بورصة احدى المدن التى حظيت بالاحتفاظ بالشيء الكثير من سجلات محاكمها الشرعية ، بل توجد فيها اقدم السجلات الشرعية الموجودة

---

(1) كان المسلمون ينعتون بعض البلاد التي يطمعون في فتحها باسم من كان يقطنها من الاقوام فقد اطلقوا اسم الروم الى بلدتين في شرقي الاناضول احداهما في الجنوب وهي ارزن الروم والثانية في شمالها وهي ارض روم ، ثم اطلقوا الروم او ديار الروم على الاناضول بكامله فلما تم السلاجقة هذه الخطة واستوطنها الاتراك واصبحت تركيا ، سمى العثمانيون بعدهم بالروم او بعبارة الروم ما كان ابعد غربا اي البلاد التي تقع عبر المضيقين البوسفور والدردنيل . فلقد كانوا يسمون فتوحاتهم الاولى في القارة الاوروبية روم ايلي (Rumeli) اي ديار الروم . فكلما تقدم العالم الاسلامي تقلص وتقرب كل ما كان يطلق عليه اسم الروم او ديار الروم .

الآن والراجعة للفترة العثمانية ومن هذه السجلات استطعنا ان نقف على النشاط التجارى فى العالم وعلى انعكاساته فى هذه المدينة .

تنقل لنا هذه السجلات اشياء عن مغاربة وتونسيين شطت بهم الديار والقوا فى هذه المدينة عصا الترحال ، فمنهم من اتخذها وطنا ومنهم من جاءها للتجارة او للسياحة او حبا فى المغامرات على نحو سائحهم الشهير ابن بطوطة.

الوثيقة الاولى: فى سنة 1466 نجد ان مغربيا يسمى محمد بن على المغربى، قد تزوج بها، ثم طلق زوجته وكانت فى الاصل جارية اعتقها سيدى احمد (؟).

ونظرا الى ان بورصة كانت مدينة صناعية فقد كانت تحتاج الى ايد عاملة كثيرة ، وكان فيها عدد لاباس به من العبيد . وكان اسيادهم يعتقونهم ويكاتبونهم ويدبرون الكثير منهم حسبة لله او لقاء عمل ما ، او بعد اداء مبلغ يتفق عليه العبد ومولاه .

وتبين لنا الوثيقة الثانية ان تاجرا مغربيا اشترى كميات من السكر والبخور المسمى بالحصالبان الذكر ما قيمته 31.000 درهم عثمانى . ومن الغريب ان بعض التجار من المصريين والسوريين يشترون منها التوابل وغيرها من الامتعة التى كان ينبغى ان يكونوا باعة لها ومجلوبة على ايديهم . وهنا نتساءل ماذا سيفعل الحاج عثمان بن قاسم المغربى بما اشتراه من سكر وحصالبان ؟ هل سياخذها للمغرب ؟ ام يبيعها للرعايا العثمانيين ؟ ام يبيعها للاوروبيين ؟

وهاته الوثيقة ، التى ترجع لعام 1472 ، لا تفصح عن اى بيان فى هذا الصدد .

اما الوثيقة الثالثة وهى متاخرة عن السابقتين وتعود لفترة كان النشاط التجارى فيها اكثر اتساعا ، وهى عبارة عن وكالة وكل بها صدر الدين حسن ابن محمد الحلبى ، وهو أحد التجار الذين توطنوا ببورصة (2) ، الى ابراهيم ابن الحاج على الدباغ والصيدلانى لقبض حقه الكائن فى ذمة احمد بن محمد المغربى التاجورى ، فانه كان اشترى منه فلفلا بما قيمته 5.850 درهم عثمانى وهى صفقة كبيرة ، اما احمد التاجورى فالوثيقة لا تدل على مقره ولعله بتاجوراى فى طرابلس الغرب او فى غيرها ، كما ان القاضى لا يصرح باسم الموضع المقيم به ، ولو فعل ذلك لانهى الى قاضى البلد الفلانى فى آخر هذه الحجة التى تعود لعام 1479 م.

اما الوثيقة الرابعة وهى أكثر هذه المجموعة أهمية ، فاننا نرى ان اندلسيا قد توطن انطالية (3) وكان اسمه الحاج على ، اما اسم ابيه فقد تعسر علينا قراءته وقد كتبه الكاتب باملاء دلاباشى ولعل أصل ذلك دلا(ل) باشى أى رئيس الدلالين .

وتعود هذه الوثيقة الى عام 1484 وهى من النوع الذى يسمى فى كتب « ادب القاضى » بـ « كتاب القاضى الى القاضى» والتى تكشف عن كيف كانت تنقل الاموال من بلد الى بلد ، حيث كانت تستعمل فى بعض الاحيان كورقة معاملة (Lettre de change) وتقوم مقامها وان لم تكن هى بعينها . ففيها

(2) كان السجلات الشرعية تكتبها : بروسه
(3) ميناء فى جنوب غرب الاناضول نهايته خليج يسمى باسمها (Antalya Körfezi)

يعلم قاضى بورصة قاضى انطاليـة بان محمد الطرابلسى (كذا) قـد أودع عند على الاندلسى حديدا يعرف بالحديد الصوفيوى ، ذلك انه بجوار صوفيا، عاصمة بلغاريا اليوم ، كانت مناجم حديد فى مكان يدعى صماقو كانت تعمل حتى القرن التاسع عشر .

وفى الوثيقة معلومات اخرى تتعلق بالاوزان والاكيـال وقد عرفت لنـا « المـن » **بانه يساوي اثنتى عشرة اوقيـة . وان اوقيـة تساوى 400 درهـم لا اربعين درهما كما يعرفها المصريون .**

والوثيقة الخامسة تعرفنا على مغربى استوطن بورصة واستأجر بها منزلا له يحوى اثنى عشر بيتا ودكانا (ولم تذكر حدودها) من افرنجى بما يبلـغ 1.600 درهم عثمانى سنويا ، وتقع هذه الدار فى حى يسمى بـ «شهر كوسدى» بعيد عن المدينة ، ذلك ان اهل البلد كانوا يسمون الاحياء الجديدة البعيدة عن المدينة بالاحياء المقاطعة او المنقطعة ، فشهر كوسدى تعنى (زعلان) على البلد، وتعود الوثيقة لعام 1484 .

وتنعت الوثيقة السادسة التجار بالسفارين لشغفهم بالسفر ، فالتجارة كان قوامها السفر فى الشرق والغـرب ، والتاجر السفار الشرقى لا يختلف فى ذلك عن الاوروبى .

وهذه الوثيقة التى ترجع الى سنة 1486 ، حررت بناء على دعوى أقامهـا وكيل الحاج محمد بن عبد الله التونسى ، فقد سرق منـه قولاق احمد 1.600 درهـم فضى و 9 دنـانيـر افرنجيات (افـلوريـات = fiorino, florin) واتهم بها بعض صواحبه التجار ، ثم تاكد من السارق فأبرأ الوكيل بوكالته ذمم المتهميـن .

ولعل الحاج محمد التونسى لم يكن موجودا ببورصة وقت تحرير هذه الوثيقة ويمكن ان يكون فى مصر لان احد شهود الوكالة هو رشيدى من مصر ، وتكون الدعوى على هـذا قد اقيمت بناء على كتاب ورد من قاضى مصر ، لان المكاتبات بين حكام بورصة وحكام باقى العالم الاسلامى ، كانت متتابعة متتالية.

اما الوثائق الثلاث الباقية فهى دعاو بين الحـاج سالم بن عبد الرحمان المغربى، والحاج عمر بن عمر المغربى، وقد ابرأ فى اولاها كل منهما ذمة الآخر.

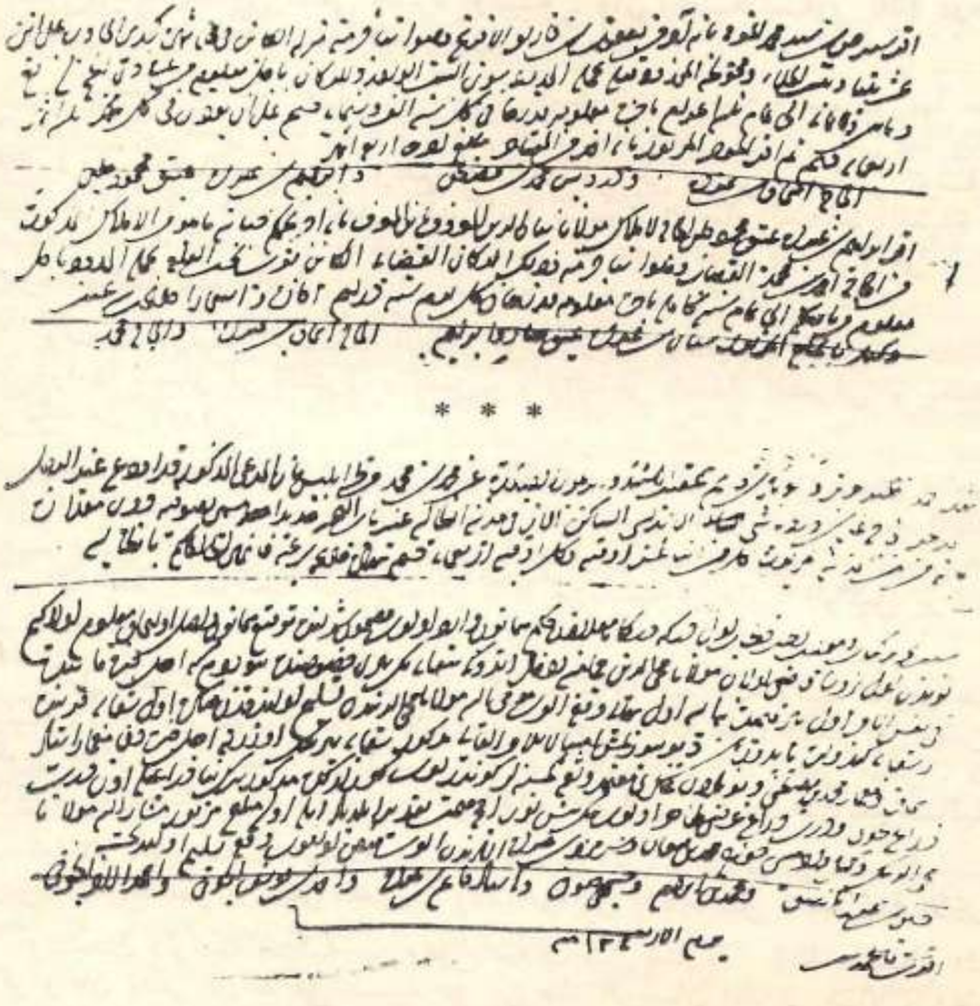
وتتحدث الوثيقة التالية عن وقوع خلاف بين مغاربة ، والحاج سالم المار الذكر وكان يدعى ان له على السيد على بن عبد الرحمان المغربى مـالا ، وعين محمد بن محمد المغربى وكيلا له لقبض ماله ، الا انه عزله ، بدعوى ان لا حق للدعوى له عليه أى على المديون .

وتضم من الدعوى الاخيرة ان له على السيد على 3.000 درهم قبض منها الفا واخذ فى المحكمة 1.600 ، وبقى له عليه 400 درهم عثمانى ، وكان ذلك قد جرى فى خلال سنة 1504 .

والوثائق كما سيرى القـارىء ، بلغة عربية سليمة كغيرها من الحجـج التى توجد فى سجلات محاكم بورصة ، اذ معظمها كان يسجل باللغة العربية.

كلية الاقتصاد ـ جامعـة استانبول

خليـل الساحلـى



الشكل رقم 5 . النص الأصلي للوثيقتين رقم 4 و 5 المنشورتين ، ص . 49 .

السجل رقم 4 A ؛ من سجلات محكمة بورصة .

وثيقـــة رقـــم 1

اقر محمد بن على المغربى بانه طلق زوجته سرور بنت عبد الله معتقة سيدى احمد طلاقا باينا على مهرها ونفقه عدتها وعلى جميع دعاويها .

(شهود الحال) : الحاج مصطفى بن الحاج حمزة ومولانا الحاج حسن ابن حسين فقيه (4) .

وثيقـــة رقـــم 2

اقر الحاج عثمان بن قاسم المغربى بان عليه لحامل الكتاب الخواجة محمود بن عبد الله ، عتيق الحاج بابا مبلغ احدى وثلثين (كذا) الف درهم جديد من (ثمن) السكر 42 (قنطارا) وثلثين (كذا) وقية ، والحصالبان الذكر ، قنطارين (5) وثلث وقيـة ، المقبوض مؤجلا من غـرة ربيع الاخـر الى خمسة اشهر .

(شهود الحال) : يوسف عتيق الخواجة (...) وقره‌كوز وسنان العطار والحاج بكر والحاج حسين بن حسن (6) .

وثيقـــة رقـــم 3

وكل الخوجة صدر الدين حسن بن محمد الحلبى ، المدعو ابراهيم بن الحاج على الدباغ والصيدلانى وانابه مناب نفسه بقبض حقه الكائن على ذمة احمد بن محمد المغربى التاجورى وهو بتقريره مبلغ خمسة آلاف وثمانمائة وخمسين درهما من ثمن الفلفل المشترى المقبوض وايصاله اليه توكيلا صحيحا شرعيا مقبولا من قبله .

الحاج ابو بكر بن عثمان القونصى والحاج محمد بن محمد واسماعيل بن الحاج محمد ويوسف بن عثمان الشامى والخواجة على باشا (7) .

وثيقـــة رقـــم 4

شهد احمد بن عبد العزيز وابوبكر بن قاسم ، عقيب الاشهاد والدعوى الصادرة عن محمد بن محمد من طرابليس (كذا) بان المدعى المذكور قد اودع عند الرجل المدعو الحاج على بن دلاباشى (؟) الاندلسى الساكن الآن فى مدينة انطالية عند باب البحر ، حديدا مسمى بصوفية دمرى مقداره مائة من بمن القيمة المزبورة كل من اثنا عشر وقية وكل وقية اربعمائة درهم شهادة صحيحة شرعية قاضى الى الحاكم بانطالية (8) .

وثيقـــة رقـــم 5

اقر سيد حسن بن سيد محمد المغربى بانه اجر من يعقوب بن قارلـــو

---

(4) السجل رقم A 199 ، وثيقة رقم 216 ، يوم الخميس 22 جمادي الاول سنة 870 هـ / 10 كانون الثاني — جانفي 1466

(5) القنطار هو عبارة عن 44 وقية ، والوقية 400 درهم .

(6) السجل رقم A 199 ، ورق 184 أ ، يوم الاثنين 3 ربيع الآخر سنة 877 هـ / تشرين الاول 1472 .

(7) السجل رقم A 3 ورقة 190 ، يوم الخميس 28 صفر سنة 884 هـ / 21 أيار 1479 .

(8) السجل رقم A 4 ، ورق 237 ب ، يوم الثلاثاء 12 ذي القعدة سنة 889 هـ / اول كانون الاول — ديسمبر 1484 .

الافرنج وهو استاجر منه منزله الكائن فى محله شهرة كوسدى الحاوى على اثنىعشر بيتا وبيت الخلاء ومحوطة المحدود قبلة ... بجملة الحدود سوىالبيت الواحد والدكان باجل معلوم من غرة ذى الحجة سنة تسع وثمانين وثمانمائة الى تمام ثلثه (كذا) اعوام باجرة معلومة قدرها فى كل سنة الف وستمائة درهم على ان يؤدى فى كل ثلثه (كذا) اشهر اربعمائة درهم ثم اقر المقر له المزبور بانه اخذ من المستاجر اجرة اربعة اشهر .

(شهود الحال) : الحاج اسحق بن عبد الله ودرويش محمد بن مصطفى وابراهيم بن عبد الله عتيق محمود جلبى (9) .

وثيقة رقم 6

لما ثبت بشهادة آلحاج حسن بن الحاج على الرشيدى التاجر السفار والحاج قاسم بن عبد الله العطار محرر الحاج عثمان ان المدعو الحاج احمد بن الحاج محمد العطار من محلة صرماكش (وهو حى من احياء المدينة منسوب لصانع الاسلاك المفضضة والمذهبة التى تستعمل فى الزركشة) وكيل مطلق بجميع الامور من الصلح والابراء والبيع والشراء عن قبل المدعو الحاج محمد بن عبد الله التونسى المغربى ثبوتا صحيحا شرعيا ابرىء الوكيل ذمم المدعوين الحاج ادهم بن محمود الانقروى وحسين بن الحاج قوجى البروسوى من محله قيز (وتعنى البنت) يعقوب والحاج حمزة بن على من محلة فضل الله باشا (حى من احياء بورصة ايضا) ومحمود بن الحاج حسن من آله شهر (قصبه فى غربى الاناضول) عن جميع الدعاوى والمطالبات عموما، خصوصا عن دعوى مبلغ الف وستمائة درهم وتسعة افلوريات (اى دنانير اوروبية) كان اقر المدعو قولاق (وتعنى الاذن بالتركية وهى لقب للاتى ذكره) احمد بن (...) بانه سرق المبلغ المذكور من الموكل الحاج محمد المذكور وان الحاج ادهم وحسين والحاج حمزة ومحمود المزبورين (10) صواحبه (أبرئوا) ابراء صحيحا شرعيا قاطعا للنزاع ورافعا للخصومة .

(شهود الحال) : مولانا على جلبى الامين ومحيى الدين بن الحاج ابراهيم بن عبد الله وحمزة بن الوان والحاج على بن عبد الله المحضر (11) .

وثيقة رقم 7

اقر الحاج عمر بن عمر المغربى بانه قد ابرأ ذمة الحاج سالم بن عبد الرحمن الجربوى (كذا) عن جميع الدعاوى والمطالبات والايمان والمخاصمات عموما وخصوصا اقرارا واعترافا صحيحين شرعين وهو صدقة واقر الحاج سالم المذكور كذلك وهو صدقة ايضا .

(شهود الحال) : الحاج يوسف بن عبد الله والحاج حسن بن على ومحمد بن على ومحمد بن محمد (12) .

---

(9) السجل رقم A 4 ، ورق 238 أ يوم الاربعاء 12 ذي القعدة سنة 889 هـ / ثاني كانون الاول — ديسمبر 1484 .

(10) اي المذكور ، مفردها مزبور .

(11) السجل رقم A 5 ، ورق 63 ، يوم الخميس 8 ربيع الاخر سنة 891 هـ /12 نيسان افريل 1486 م .

(12) السجل A 19 ، ورق 67 أ ، يوم السبت 22 رمضان 909 هـ / 9 أذار — مارس 1504 .

وثيقـــة رقــــم 8

وكل المدعو الحاج سالم بن عبد الرحمن الجربوى المغربى المدعــو السيد محمد بن محمد المغربى بقبض حقه الكائن فى ذمة السيد على بن عبد الرحمن المغربى وهو بتقرير المؤكل المزبور وحكايته ثلاثة الاف درهم توكيلا مطلقا ولا حق ولا دعوى له عليه ثم عزله .

(شهود الحال) : مصطفى جلبى بن محمد المحضر ومحمد بن على وعمر بن عمر ومولانا سعدى الامين (13) .

وثيقــة رقــم 9

اقر الحاج سالم بن عبد الرحمن المغربى الجربوى بانه كان له على (ذمة) السيد على بن السيد عبد الرحمن (المغربى) مبلغ 2.000 درهم من الوديعة كان باقيا من ثلثه (كذا) الاف درهم وكان قبض منه سابقا الف درهم وهو الآن قد اخذ وقبض منه 1.600 درهم فبقى عليه له اربعمائة درهم وهو صدقة.

(شهود الحــال) : مصطفى جلبى بن محمد المحضر ومولانا سعدى بــن عوض الامين ومحمد بن عبد الله وكاتب الحروف (14) .

(13) السجل A 19 ، ورقة 70 أ ، يوم الاثنين 24 رمضان سنة 909 هـ / 11 اذار — مارس 1504 .

(14) السجل A 19 ، ورقة 76 ب ، يوم الاحد 15 شوال سنة 909 هـ / أول نيسان أفريل 1504 .

وثائق جديدة
عن ثورة الامير عبد المالك الجزائري بالمغرب

أبو القاسم سعد الله

اجريت فى صيف 1968 بدمشق مقابلة مع الامير حسن بن الامير عبد المالك الجزائرى وطلبت منه ان يحدثنى عن ثورة والده فى المغرب (1914ـ 1924) ، وعن ذكرياته عنه . وكانت المقابلة فى منزل الامير حسن الواقع بأحد أحياء دمشق المشهورة بالمغاربة . وكانت القاعة التى جلسنا فيها محلاة بصور أبيه الامير عبد المالك وصور جده الامير عبد القادر . فهناك صورة للاول باللباس العسكرى العثمانى ، وأخرى يظهر فيها لابسا برنسا فى هيئة شبيهة بهيئة والده (الامير عبد القادر) . وثالثة يظهر فيها ممتطئا صهوة فرس تذكر ايضا بالصورة المعروفة للامير عبد القادر يحيط به عدد من المغاربة راجلين تماما كما تظهر صورة أبيه وهو محاط بأتباعه الجزائريين .

وقد تحدث الى الامير حسن بصراحة عن والده ، فكان يتكلم وأنا أكتب طيلة بضع ساعات . وبعد ان انتهى من حديثه وجهت اليه بعض الاسئلة عن موضوعات رأيت انها ما زالت غامضة ، فأجابنى عنها ايضا بصراحة . كان الامير يتمتع بذاكرة قوية . ويحتفظ بصور كثيرة عن تاريخ والده وجده ، كما يحتفظ بوثائق هامة تفضل بتسليمها الى فى أصولها .

ويمكننا ان نعيد بناء احداث ثورة الامير عبد المالك بالمغرب بالاعتماد على هذه المعلومات الجديدة المتمثلة فى المحادثة التى أجريناها مع ابنه ، وفى الوثائق والصور التى تفضل بالكشف عنها ، وفى مقال هام ظهر فى جريدة (الاحرار) البيروتية ، بالاضافة الى ما استقيناه من معلومات حول هذه الثورة فى مناسبات متعددة منذ صدور كتابنا « الحركة الوطنية الجزائرية » (1) الذى خصصنا فيه فصلا عن ثورة الامير عبد المالك .

والوثائق المشار اليها هى ما يلى مرتبة حسب تواريخها :

الوثيقة رقم 1 : رسالة من الامير عبد المالك الى أخيه الامير على بتاريخ 16 نوفمبر 1914 ، بالعربية .

الوثيقة رقم 2 : رسالة من الامير عبد المالك الى ابن اخته سيدى مصطفى بتاريخ 4 صفر 1334 هـ (1915 م) ، بالعربية .

الوثيقة رقم 3 : رسالة من ممثلى الدولتين العثمانية والالمانية بمدريد بتاريخ 25 مايو 1916 ، بالعربية .

الوثيقة رقم 4 : شعر للامير عبد المالك الى أسرة الامير عبد القادر بالشام بتاريخ 14 ربيع الثانى 1338 هـ (1919 م) ، بالعربية .

---

(1) دار الآداب ، بيروت ، 1969 ، ص 257 — 265 ، لم أحاول في هذه الدراسة ان أوفق بين ما ذكرته في (الحركة الوطنية الجزائرية) وبين ماورد في الوثائق الحالية عن الامير عبد المالك.



الشكل رقم 6 . الامير حسن بن الامير عبد المالك (سنة 1913) .

من الوثائق الشخصية للأمير حسن .



الشكل رقم 7 . الامير حسن بن الامير عبد المالك (سنة 1928) .

من الوثائق الشخصية للأمير حسن .

الوثيقة رقم 5 : رسالة الى الامير عبد المالك من مجهول ، بتاريخ 26 سبتمبر 1920 ، بالفرنسية .

الوثيقة رقم 6 : رسالة من الامير عبد المالك الى الجنرال موريال ، بتاريخ 7 اكتوبر 1920 ، بالفرنسية .

الوثيقة رقم 7 : رسالة من خليل حقي قائم بأعمال الدولة العثمانية بمدريد الى الامير عبد المالك ، بتاريخ 10 ديسمبر 1920 ، بالفرنسية .

★ ★ ★

وقبل استعراضنا لهذه الوثائق نود أن نكشف عن بعض الجوانب الشخصية والعائلية للامير عبد المالك ، معتمدين فى ذلك بالدرجة الاولى على حديث ابنه الامير حسن . فعبد المالك هو الابن الثانى قبل الاخير من ابناء الامير عبد القادر ، اذ لا يصغره الا أخوه عبد الرزاق . وقد ولد الامير عبد المالك بدمشق سنة 1285 هـ (1868 م) . وهناك تعلم وتأثر بحركة الجامعة الاسلامية . وكان يحسن الى جانب العربية اللغتين التركية والفرنسية . وكان خطيبا وشاعرا أيضا . وكان قد سمع بثورة الشيخ بوعمامة فى الجنوب الجزائرى فأخذ بها . وقد غادر دمشق سنة 1903 ، ولا ندرى أين توجه بالضبط ، ولكننا نعلم انه عين سنة 1906 قائدا للشرطة الدولية فى طنجة . واجتمع سنة 1912 بأسرته فى طنجة . وكانت هذه الاسرة تتكون من زوجته وبنتين وابنيه الاميرين محى الدين وحسن (2) .

التحق الامير عبد المالك بالشيخ بوعمامة (3) وحارب معه الفرنسيين. وعندما القى بوعمامة السلاح سنة 1904 انضم الامير الى الثائر المغربى بوحمارة وحارب معه أيضا فترة . ولكنه اكتشف ان حركة هذين الثائرين كانت فردية فانضم الى السلطان مولاى عبد العزيز الذى عينه قائد جيوشه فى منطقة القصر الكبير . واثناء حروبه لصالح السلطان عبد العزيز ضد مولاى عبد الحفيظ ، الذى كان يسانده الفرنسيون ، القى عليه القبض فى فاس . ثم اطلق سراحه وعين نائبا لوزير الحربية المغربى ثم قائدا للشرطة الدولية فى طنجة .

وعندما بدأت الحرب العالمية الاولى كان الامير عبد المالك فى فيشى بفرنسا يتداوى من مرض الربو . كما زار اسبانيا فى نفس العام . وعندما تأكد موقف الامير عبد المالك المعادى للفرنسيين اتصل به سفير المانيا فى مدريد ، الكونت دى راتيبور ، وطلب منه ارسال مندوب عنه الى مدريد للاتفاق على خطة مشتركة . فأرسل الامير عبد المالك ابنه محى الدين الى مدريد لذلك الغرض . وقد وقع الاتفاق على فتح جبهة ضد الفرنسيين فى المغرب . ومحتوى هذه الخطة ان المانيا والدولة العثمانية تتعهدان بالمساعدة ، اذا نجحت الخطة ، على اقامة مملكة واحدة تضم المغرب والجزائر .

وفى آخر سنة 1914 ترك الامير عبد المالك طنجة (4) ، بناء على الاتفاق ، وتوجه الى داخل المغرب لتنظيم قواته وفتح الجبهة المذكورة . وقد توجه أولا الى جبالة حيث القى عليه القبض وكاد يقع فى قبضة الفرنسيين

---

(2) انتحر الامير محي الدين بعد خلاف مع والده في بداية الحركة ، اما حسن فهو الامير الذي أجرينا معه المقابلة .

(3) رغم تاكيد الامير حسن على علاقة والده بثورة بوعمامة فاننا ما نزال غير مطمئنين اليها .

(4) تدل الوثيقة الاولى على ان الامير قد بدأ حركته في أوائل سبتمبر 1914 .



الشكل رقم 8 . الامير عبد المالك بن الامير عبد القادر .

من الوثائق الشخصية للأمير حسن .

لولا تدخل قائد بني منصور العياشي القلال (5) (؟) الذى حماه من الشيخ الريسوني (الذى كان ضده) واتباعه ، وسهل له الخروج من المنطقة الاسبانية .

وفي بني مستارة الف الامير عبد المالك أول قوة لمقاومة الفرنسيين في المغرب الخاضع للادارة الفرنسية . وكان جيشه يتألف عندئذ من فرق نظامية واخرى شعبية . وكان يعمل في معسكره ضباط المان وآتراك . وكان رئيس البعثة الالمانية لديه هو السيد هيرمان . اما رئيس البعثة العثمانية لديه فان الامير حسن لم يتذكر اسمه . وكان في معسكر الامير عبد المالك آيضا بعض الهاربين من فرقة اللفيف الاجنبي الفرنسية .

كان الاتراك والالمان يعملون معه كمستشارين . وكان الالمان بالذات يقدمون مساعدة لاسرته التي كانت تعيش في مدينة تطوان . كما كانوا يقدمون اليه الاسلحة والعتاد ، ولكن بكمية غير كافية . وكانوا احيانا لا يوفون له بوعودهم ، مثل ما حدث عندما دخل الامير عبد المالك مدينة فاس، فقد ظل هناك ينتظر المدد من القوات المركزية لكي ينطلق الى جهات اخرى ولكن بدون جدوى .

وعند وقوع الهدنة بين القوات المركزية والحلفاء سنة 1918 بدأ الامير عبد المالك عهدا جديدا كان أقسى تجربة عليه من العهد الاول . فقد تخلى عنه جميع الاتراك والالمان وانسحب من عنده 500 فارس من بني زناسن ، وذهبوا باسلحتهم وأموالهم الى مليلية بالمنطقة الاسبانية . وهكذا بقي الامير عبد المالك وحده في الميدان فالتجأ الى قبيلة غمارة . وقد التجأ أيضا الى زاوية سيدي علي بن داود حيث بقي مدة مع قوة صغيرة من اتباعه . وخلال ذلك كان يجري سلسلة من المفاوضات مع الفرنسيين لم تؤد الى نتيجة . غير ان الامور بدأت تأخذ شكلا جديدا سنة 1923 عندما اندلعت حرب الريف بقيادة الامير الخطابي . وكانت هذه الحرب في البداية ضد الاسبان . وقد أرسل الامير الخطابي أخاه الى فرنسا يطلب مساعدتها ، غير ان هذه اشترطت عليه، لكي تقدم له المساعدة ، أن يحارب الامير عبد المالك ويخرجه.

وبناء على ذلك جاء الامير الخطابي بقوة كبيرة وحاصر الامير عبد المالك وطلب منه التسليم . لكن الاخير فضل الحرب على التسليم . وجرت معركة بين الطرفين دامت خمسة عشر يوما انكسر اثرها الخطابي وعاد الى موطنه وبدأ يعد العدة لجولة ثانية أكبر من الاولى . غير ان الامير عبد المالك لم يكن يملك قوة كبيرة فالتجأ الى المنطقة الاسبانية وطلب مساعدة اسبانيا . وقد جرى اتفاق بين الطرفين تعهدت بمقتضاه اسبانيا بتقديم المساعدة المادية للامير عبد المالك ، على أن يكون من حق الامير تجنيد الجنود ليحرر بهم ما يشاء من البلاد ، فاذا احتل أي جزء منها فانه يصبح مستقلا ولا يدخله الاسبان .

وقد حضر الامير حسن المعركة الاخيرة التي قتل فيها والده . فقد خرجوا على الساعة الرابعة صباحا وبدأ القتال الذى دام حتى العاشرة حين انتهت المعركة . وعلى اثر ذلك مباشرة أصابت طلقات قلب الامير عبد المالك. وجرى ذلك في شهر أغسطس سنة 1924 . وقد ادعى الريفيون آن الاسبان هم الذين قتلوه بينما ادعى هؤلاء أن الريفيين هم الذين فعلوا به ذلك . وعلى

(5) لم استطع أن اقرأ خطي الذي كتبت به هذا الاسم اثناء مقابلتي مع الامير حسن ، ولذلك فانا غير متاكد من نطق الاسم .

كل حال فان الامير عبد المالك كان قد خرج للحرب تحدوه الرغبة فى تحرير المغرب من الاسبان وثوار الريف معا .

وتؤكد الوثائق الجديدة علاقة الامير عبد المالك بكل من أخيه الامير على وابن أخيه الامير خالد . فقد كان الاول هو المتحدث باسم حركته فى المشرق وموضع سره هناك ، كما تشهد بذلك الوثيقة رقم 1 . وفى سنة 1916 طلب الامير عبد المالك من الامير خالد أن يشرع فى تهيئة الجو فى الجزائر للقيام بحركة مساندة لحركته فى المغرب . وقد ارسل اليه من أجل ذلك الاموال والمناشير . ولكن ظروف الامير خالد لم تسمح له بهذه المهمة . وتؤكد جريدة (الاحرار) هذه العلاقة بين الاميرين (6) . ومهما يكن الامر فمما لا شك فيه هو ان الامير خالد قد استفاد من حركة عمه فى المغرب عندما بدأ هو حركته السياسيه فى الجزائر بعد الحرب العالمية الاولى .

حارب الامير عبد المالك فرنسا اقتداء بوالده الامير عبد القادر . وكان هدفه تحرير الجزائر . ولكنه لم يبدأ من الجزائر لان جذور فرنسا فيها كانت قوية . وقد اختار بدلا منها المغرب كمنطلق لان مجال العمل فيه أوسع حيث توجد سلطتان من جهة وحيث المغرب كان حديث العهد بالاستعمار من جهة أخرى . وكان العدو الاول للامير عبد المالك هو المارشال ليوتى . وكانت للامير أهداف دينية ووطنية من تحرير المغرب والجزائر ، شبيهه بالاهداف التى حارب من اجلها الامير عبد القادر . ورغم ذلك فان الامير عبد المالك لم يدخل الجزائر قط ، لا قبل الحرب العالمية الاولى ولا بعدها . واقرب نقطة اقترب فيها من الجزائر هى مدينة وجدة .

★ ★ ★

تكشف الوثائق السبع التى بحوزتنا عن مدى ايمان الامير عبد المالك بالجامعة الاسلامية وبفكرة الجهاد وتعلقه الشديد بفعائل أجداده . كما تكشف عن ثقته واعتزازه بنفسه، سواء فى حروبه او فى مفاوضاته مع الفرنسيين. ومن جهة أخرى تكشف عن علاقاته بأصدقائه (العثمانيين والالمان) وبأعدائه (الفرنسيين) .

فاذا نظرنا الى هذه الوثائق واحدة واحدة فان **الوثيقة الاولى** عبارة عن رسالة كان قد وجهها الامير عبد المالك الى أخيه وممثله الامير على فى اسطانبول . والظاهر أنها مترجمة لان جريدة (الاحرار) قد نشرتها ضمن مقال موقع بامضاء السيد فؤاد ميدانى وبجانبه عبارة « تعريب » (7) . بالاضافة الى ان الاسلوب لا يدل على انها قد نشرت بنصها العربى الاصلى . وعلى كل حال فالرسالة اخبارية وهى مؤرخة بـ 14 نوفمبر 1914 ، أى بعد بضعة شهور فقط من بداية الحرب العالمية . وقد عدد فيها انتصاراته على الفرنسيين فى الحرب . واشار الى انه ارسل دعاته أيضا الى الجزائر وتونس . وهذا يؤيد صحة ما ذكره الامير حسن من ان والده قد كاتب ابن أخيه الامير خالد فى الجزائر . والرسالة بالاضافة الى ذلك تكشف عن ثقته بنفسه وربطه الجهاد الذى يخوضه بحركة الجامعة الاسلامية . وفى الرسالة أيضا اشارة الى [illegible] حين ذكر أنه استولى على بطارية للعدو قبل شهرين من تاريخه .

والوثيقة الثانية عبارة عن رسالة (8) مفصلة أرسلها الامير عبد المالك

(6) النسخة التى عندنا من هذه الجريدة تحمل رقم 1930 ، لكن تاريخ الجريدة منزوع .
(7) جريدة (الاحرار) عدد 1930 . لكن التاريخ منزوع من القصاصة التي عندي . وفي المقال [illegible] من حوادث افريقية الشمالية خلال الحرب العالمية الاولى وموقف الدولة [illegible] .
(8) مقاس 27 × 21 ؛ 31 سطرا ، بالاضافة الى 15 سطرا مكتوبة على اطراف الرسالة .

سنة 1915 الى ابن اخته السيد مصطفى الذى لا نعرف عنه الآن اكثر من هذا . وهذه الرسالة المكتوبة بخط مغربى وموقعة من قبل الامير عبد المالك نفسه بخطه المشرقى ، تتلخص فى نقطتين : الاولى وصفه للمعارك التى خاضها هو واتباعه ضد الفرنسيين وحلفائهم اولاد بكار ، والثانية طلبه النقود من جهة مجهولة أشير اليها باسم « الطبيب » فقط ، ثم انذار هذه الجهة بأن الامور ستسوء اذا لم ترسل بالمال المطلوب عاجلا . وقد ذيل الامير عبد المالك هذه الرسالة بكلمة طلب فيها من ابن اخته ان يطلع ابنه الامير حسن على فحواها مع توجيهات خاصة به . ومن الاسف اننا لم نستطع ان نتعرف على شخصية ولا مهمة الرجلين المشار اليهما فى هذا الذيل وهما حميدة الوزانى والبشير بن السفاح (؟) ، كما لم نعرف هوية بوغابسن .

والوثيقة الثالثة وردت الى الامير عبد المالك من سفير دولة المانيا بمدريد ونائب الدولة العثمانية بمدريد أيضا ، وهى بتاريخ 25 مايو 1916 (9) . وهى مكتوبة بخط عربى مقبول وأسلوب رديىء . ولعل الذى كتبها أحد موظفى السفارتين المذكورتين . وفى أسفل الوثيقة ختم كل دولة بالشمع الاحمر ، ويظهر عليه النسر الالمانى تحت عبارة « سفير دولة الالمانية بمدريد » و « دولة الخلافة العلية » تحت عبارة « نائب دولة العثمانية بمدريد . » والوثيقة تؤكد صداقة الدولة العثمانية والالمانية للامير عبد المالك ، وتبعد الشائعات التى شاعت عندئذ من ان انسحاب الضباط العثمانيين من صفوفه تعنى التخلى عنه وعن المغرب . وتكشف هذه الوثيقة من جهه أخرى عن دور الخلافة العثمانية والمانيا فى تلك الاحداث .

كل الوثائق السابقة كانت خلال الحرب العالمية الاولى . وتأتى **الوثيقة الرابعة** سنة 1919 حين كتب الامير عبد المالك عشرة أبيات من الشعر بخط يده وبقلم الرصاص وموقعة بقلمه أيضا (10) . وقد وجهها الى آل الامير عبد القادر عامة . والظاهر أنه لام فيها بعض افراد هذه العائلة الذين ربطوا مصيرهم بفرنسا عدوته وعدوة والده ، ناسين أيادى السلطان عبد المجيد الذى كفل والده مما تسبب فى اطلاق سراحه من سجن الفرنسيين . وقد عاب عليهم الفرقة بعد الوحدة والهوان بعد العزة . ومما يلاحظ أن البيت الاخير مكسور . ولم يفصح الامير عبد المالك عن الدافع الذى دفعه الى قول هذا الشعر . غير أن ابنه الامير حسن ذكر لى اثناء المقابلة بان والده قد رد بهذا الشعر على آل الامير عبد القادر عندما طلبوا منه ان يقبل عرض فرنسا الذى يقضى بتخليه عن ثورته ضدها فى المغرب وتنصيبه ملكا على سورية بدل الامير فيصل . غير أننا لم نجد فى الوثائق ما يشير الى هذه القضية .

والوثيقة الخامسة عبارة عن رسالة غامضة وجهها مسؤول ، يبدو أنه فرنسى ، سنة 1920 الى الامير عبد المالك (11) . وهى مكتوبة بالفرنسية ولا تحمل توقيعا ولا جهة ارسال . وتتحدث عن خطة سفره من المكان الذى كان يوجد فيه ، وهو غير مذكور ، ولكن الظاهر أنه كان قريبا من فاس . وهى تدل على ان هناك مفاوضات كانت تجرى بينه وبين الفرنسيين . وكانت نقطة الخلاف فيها حول الطريق الذى يجتازه بعد انتهاء العمليات العسكرية ،

(9) مقاس 33 × 20،5 ؛ 21 سطرا ، وقد نقلتها كما هى دون أن انبه الى ما فيها من اخطاء لكثرتها .

(10) مقاس 27 × 20،5 ؛ 12 سطرا .

(11) مقاس 20 × 15،5 ؛ 14 سطرا للصفحة (من صفحتين) .

هل يتوجه رأسا الى تطوان لرؤية اهله قبل التوجه الى الرباط لزيارة الجنرال ليوتى أو يؤدى الزيارة الى ليوتى قبل التوجه الى عائلته ؟

وكان **الوثيقة السادسة** (12) التى وجهها الامير عبد المالك الى الجنرال موريال الفرنسى ، مدير الشؤون الاهلية ومصالح الاستخبارات بالمغرب ، تجيب على ما غمض فى الوثيقة الخامسة . فالرسالة الرسمية التى قيل له انها آتية اليه كانت تحمل شروط الفرنسيين لاستسلامه . وهى الرسالة التى حملها اليه احد الضباط السامين . وقد وجد الامير ان هذه الشروط مهينة لشرفه ومقيدة لحريته فرفضها . ولذلك قدم بدلها شروطه الخاصة الموضحة فى الوثيقة ، وهى من ثلاث نقاط ، مضيفا اليها شرطا رابعا ، وهو حصوله على رخصة لمغادرة التراب المغربى من المقيم آنعام (الجنرال ليوتى) نفسه . وفى هذه الوثيقة كشف الامير عن اهداف كفاحه خلال خمس سنوات . وقد سخر من التسامح والاريحية الفرنسية . ومن الملاحظ ان هذه الوثيقة المكتوبة بالفرنسية كأنها كانت مسودة لما فيها من شطب وتعديل . ثم ان تحديد مكان الجهة التى يطلبها بعد خروجه من المغرب غير واضحة . فقد وجدت كلمة اسطانبول مشطوبة ومكتوبا فوقها كلمة رومة . والملاحظ كذلك ان الوثيقة بدون توقيع . وهى بتاريخ سنة 1920 .

اما **الوثيقة السابعة** والاخيرة فهى من السيد خليل حقى القائم بأعمال سفارة الدولة العثمانية بمدريد الى الامير عبد المالك (13) . وهى ايضا بتاريخ 1920 . وقد أجاب بها الامير على رسالة كان هذا قد كتبها اليه بمناسبة تعيينه فى منصب القائم بالاعمال . وتكشف الوثيقة ان الامير قد التجأ الى سفارة الدولة العثمانية بعد فشل مفاوضاته مع الفرنسيين . لذلك بادر القائم بالاعمال العثمانى الى عرض خدماته عليه وفتح مراسلات الامير السابقة مع سلفه . وفى الوثيقة عبارات تطمينية كثيرة ودغدغات دينية واضحة ، ووعود ووصف لحالة الدولة العثمانية الدولية . وهذه الوثيقة مكتوبة أصلا بالفرنسية ، لكن تتخللها بعض العبارات العربية ذات المحتوى الدينى (كالجهاد) والآية الكريمة (ولا تقنطوا من رحمة الله) ، الخ. ولكى أميز بين المترجم والاصل العربى وضعت العبارات العربية أصلا داخل قوسين هكذا ( ) .

★ ★ ★

وتنقطع عنا أخبار الامير عبد المالك ابتداء من سنة 1921 . والمعروف انه ظل فى حالة حرب مع أعدائه حتى صيف سنة 1924 حين قتل كما أسلفنا . ولو عثرنا على وثائق عن هذه الفترة ايضا ، ولا سيما مراسلاته مع الاسبان ومع الامير عبد الكريم الخطابى ، لاتضحت لنا معالم الطريق الذى سلكه وجوانب شخصيته الخفية . ولكن التاريخ ما زال ، فى نظرنا ، يخبىء لهذه الشخصية اسرارا لن يبوح بها كلها دفعة واحدة . وحسبنا منه الآن هذه الوثائق التى نوردها بنصوصها ، موضوعة أو مترجمة ، مرتبينها تاريخيا . عسى أن يجد فيها الباحثون بعض ضالتهم عن شخصية الامير عبد المالك فى تاريخ المغرب الحديث .

ابو القاسم سعد الله
كلية الآداب ــ جامعة الجزائر

الجزائر فى 18 اكتوبر 1973

(12) مقاس 36 × 25 : 25 سطرا للصفحة (وهي في صفحتين وربع)
(13) مقاس 26 × 21 : 40 سطرا .

الوثيقـة رقـم 1 :

رسالـة من الامير عبـد المالـك الى أخيـه الاميـر على

فى الوقت (14) الذى كان يتخيل فيه أمام ناظرى الحروب والفتوحات التى كان يشنها اجدادنا العظام ، كنت أحيى الليالى حتى الصباح مفكرا ، تلك التصورات والافكار التى كنت أعتبرها أنها فاتحة آمال ذلك اليوم المقدس الذى نقوم به الى الجهاد .

فالشكر لله ان ذلك النور قد بدأ ينشق عن فجر للامة الاسلامية واخذ فى تنوير الظلمات التى كانت تكتنف الامة .

ان أول فوز أدركناه كان منذ شهرين عندما تمكنا من الاستيلاء على بطارية من العدو على اثر معركة شديدة دارت بيننا وبينه وكتب الله لنا الفوز عليه .

لقد كنت أشعر بعذاب شديد فى ضميرى عندما أرى العدو يطأ فى قدميه الملوثة أراضى وطنى المحبوب .

وعلى اثر قيام قبائلى ورجالى الفدائيين باعلان الجهاد المقدس ضد العدو ، مستمدين القوة من العزة الالهية وروحانية سيدنا محمد (صلعم) ، هاجمنا بنفوس تستحقر الموت مراكز العدو وتمكنا من احتلال (كازبلانكا) ، ذلك المركز الحربى الخطير الذى يحرص عليه العدو شديد الحرص حيث استولينا فيه على عشرات الرشاشات المدفعية ومئات البنادق والعتاد الحربية .

اننى لا أترك العدو الذى يتراجع الى الوراء يرتاح دقيقة واحدة ، وعلى الاخص فان الفرنسيين الذين فقدوا معنوياتهم بعد هذه المعركة باتو (كذا) يقومون بمقاومة تستحق الذكر .

وقد ارسلنا الرسل والمناشير الى الجزائر وجنوبى تونس لاخبار اهلها بالجهاد المقدس . وبات اليوم المنتظر قريبا جدا . وسنظل ثابتين على خطتنا الى آخر نقطة نريقها من دمائنا . ومن الله التوفيق .

وليعلم اعداء الاسلامية فى العالم ان قلوب الملايين من المسلمين تخفق اليوم بكلمة الجهاد المقدس ، وأن المظالم والاضطهادات التى ارتكبوها ضدنا فى الامكان احتمالها قط .

ونحن نتمنى ان يحذو المسلمون فى سائر العالم حذونا ، ويلبوا داعى الجهاد ليتسنى لهم الحصول على الفوز العظيم .

والمعارك الاخيرة التى نشبت بيننا وبين الافرنسيين اسقطنا منهم 700 قتيل وجريح . ان معنويات المجاهدين قوية جدا ، وعند سنوح الفرص سأنقل اليكم اخبارا جديدة . والله جل جلاله عون للمدافعين عن حقوقهم .

الامضاء : **الامير عبد المالك**

(14) تاريخ الرسالة 28 ذي الحجة سنة 1333 هـ : 16 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1914 • عن جريدة (الاحرار) البيروتية 1930 السنة التاسعة • لكن التاريخ منزوع من القصاصة •

(15) يمني الامير عبد القادر • والوثيقة مليئة بالاخطاء التي ليست في حاجة الى تنبيه •

الوثيقة رقم 2 :

رسالة من الامير عبد المالك الى ابن أخته سيدى مصطفى

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

ابن اختنا الشريف الأجل النزيه الافضل سيدى مصطفى رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله . وبعد فلا زائد على ما قدمناه لكم سوى اننا بعد الاستيلاء (؟) التام على قبيلة اولاد بكار الداخلة تحت حكم الفرنسيس لم يرد الله بها خيرا فركبنا اليها صبيحة يوم الثلاثاء متم الشهر الفارط في وسط محلتنا السعيدة . ولما اشرفنا على أول بلادهم تلقانا أولاد على بن منصور منهم متضرعين صاغرين وعرقبوا علينا فعفونا عنهم رعيا لضعفائهم وحريمهم وصبيانهم . ودخل بقية قبيلتهم طيش كبير . وقابلونا بالبارود فاطلقنا اليد للمحلة فيهم فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى صارت بلادهم حصيدا كأن لم تغن بالامس . واستولت جنود الله على سائر اموالهم ومواشيهم وسائر ما يملكون على اختلاف انواعه وحرقت دورهم على الوفاء والتمام . ورجعنا ولله الحمد سالمين ، والعناية الالهية تحفنا . ولم يصب منا الا من خيلنا الا فرسين (كذا) أحدهما قتل والآخر جرح .

وفي مغرب الغد وردت علينا الانباء بنزول العدو بعين بوقلال بين أولاد بكار والبرانيص ومكناسة . فنهضنا فجر يوم الخميس معتصمين بحبل الله الذي لا ينفصم . وغيرنا الطريق الاول فتوجهنا على قبيلة مغراوة . ولما اشرفنا على وادى أولاد بكار ظهرت لنا المحلة المذكورة وعلى اطرافها جيش العدو يرعد ويبرق فتوكلنا على الله سبحانه واستنصرناه فنصرنا واستوهبنا منه القوة فاعانتا . واشتبت القتال بيننا وبينه . وغدر أولاد علي بن منصور المذكورين (كذا) فحمى الوطيس وشمر المجاهدون عن ساعد الجد والاجتهاد واحتموا بقصبة أولاد على بن منصور ، فجعلها العدو أمامه ودفع طالعا اليها فتقهقر المجاهدون عنها . ولما رأينا الامر كذلك وجهنا مودا كبيرا تحت رئاسة القائد عزوز المركانى الغياثى لافتتاحها والاستيلاء عليها . ونزلنا بمن معنا من انصار دين الله على رتبة مقابلة لها . وشمرنا بمن بقى معنا على ساعد الجد عن المود المذكور من يقابله حتى يصل الى جوار القصبة . فتمم الله النصر والمحنة . وفي ظرف عشرين دقيقة كان المود المذكور بوسط القصبة فقصدنا اليه بمن معنا فوصلنا اليها وشب الحريق فيها . واحتوى المسلمون على جميع ما احتوت عليه بسائر أنواعه رغما عن حماية العدو لها بعدده [illegible]

ولما تم الاستيلاء عليها خرجنا منها وحمى الوطيس واشتبت القتال . وفي عشية النهار انكسر العدو الى خزاينه . ولم يصب من حزبنا الا رجل غياثي استشهد . وقتل اربعة أفراس وجرح غياثى آخر . فتعين علينا المبيت بتلك النواحي فبتنا متفرقين شذر مذر بقبيلة مغراوة .

وفي فجر يوم الجمعة نهض العدو قبل اجتماع المحلة وطلع على وادى أولاد بكار وحرق بعض دور قبيلة مغراوة كان افرغها أهلها فى اليوم السابق فتسابقت اليه الرجال من الشعاب والآكام ، واشتبت القتال بيننا وبينه . وكان اليوم حميا والموت رهيبا . ووهب الله المسلمين الثبات وصبروا صبر

أولى العزم الكرام . وتلقو (كذا) قنابلـه وصواعقه بقلوب ملئهـا (كذا) الايمان بالملك العلام . وفى آخر النهار وهبوا نصرا باهرا . واشتد القتـال فلم يكن من العدو الا أن فعل فعلته فى اليوم السابق من الانكسار الشنيع . فحينئذ قوى الايمان فى صدور المسلمين وصاروا يطاردونـه مطاردة الكـرة بين الصبيان ، الى ان اسدل الظـلام رداءه ووصل العدو الى مقـره فافتـرق الجمع على عشرة من القتلى ونيف سبقت لهم من الله العنايـة . وجرح رجـل واحد مغراوى . اما جهة الظلمة فتحقق لدينا يوم تاريخه موت القبطان كودير حاكم عسة باب المروج وسبعين عسكريا فرانسويا ، زيادة على قتلى المتنصرة من أولاد بكار ومكنـاسة . ونرى على الحضيض اربعين فـرسا . وقد خلفنـا باكام الموقعة عسسا . ورجعنا الى المحلة فى منتصف ليل يوم الجمعة . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

اما العدو فلم يبد حراكا يوم تاريخه من جهتنا ولاكن ظل يكابد الاهوال مع قبيلة غياثة التى انجدتنا من وادى بولجراف (؟) بين قصبة مسرة وتازة. ومن جهة اخرى على بنى بويعلى الذين انجدونا من ناحية سيدى احمد زروق .

وفى هذه الساعة التى هى العاشرة من الليل ، يوم السبت وردت علينا الانباء باستعداده للقتال معنا صبيحة الغـد . ونحن مصممون على الركـوب للقاته . والنصر من الله .

وعليه فلا بد اعلم الطبيب بذلك كله . وقل له اننا فى غاية العجب من عدم ارساله الدراهم لنا فى هذا الوقت الحـرج . وطالما كتبنا لكم فى شـأن ذلك وشرحنا لكم الحال على وجهـه . وملخصه ان هـذا الامر اوله الدراهـم وآخره الدراهم . ومع ذلك لم تعيرونا التفاتا . وقل له اياكـم ان تتركونـا غارقين فى هذا البحر الذى اركبتمونا اياه ، بل داوموا لنا مساعدتكـم حتى نبلغ الى شاطىء النجاة بحول الله . والمعتقد فيكم هو النظر لهذا الامر بعيـن العناية والاهتمام . فالعجل العجل ! الغوث الغوث ! فان فى تاخيركم ذلـك الغرض مضرة كبرى ومفسدة عظمى . وما على الرسول الا البلاغ . ومن انذر فقد اعذر . والله يوفق الجميع لما فيه رضاه . والسلام .

فى 4 صفر الخير عـام 1334 هـ

عبد المالك بن الامير عبد القادر

(النص أعـلاه مكتوب بخط مغربى ، لكن بتوقيع الامير عبـد المالك . وقد ذيله الامير بكلمة مع توقيعه . وهذه الكلمة بخطه خلافا للنص أعلاه . وهى هذه :)

اطلع ولدنا العزيز الامير حسن على هذا الكتـاب . وانى اهديه وكافـة الاهل سلامى واحترامى الابوى . وارجو الله ان يكونوا جميعهم بخير وعافية. ولا شك أنهم يطلبون لنا النصر من الله سبحانه فى كل وقت وعند كل صلاة. والرجاء فى الله جل جلاله ان نتلاقى ونحن وآياهم على الحالة التى نتمناهـا . والله يحفظكم جميعـا .

وليداوم ولدنا على دروسه ، ولا يبقى يرسل لنا شىء (كذا) على يـد السيد حميدة الوزانى ، بل اذا اراد ان يرسل شيئا يرسله بواسطة القـائد البشير بن السناح (؟) أو من جهة بوغابسن . والسلام على الجميع .

عبد المالـك

الوثيقة رقم 3 :

رسالة من ممثلى الدولتين الالمانية والعثمانية بمدريد الى الامير عبد المالك

الحمد لله وحده

دامت سعادة الارضى ، الشريف البركة الاعز الاحضى ، المجاهد فى سبيل الله سيدى عبد المالك بن الامير عبد المالك (15) محى الدين نصركم الله على عدوكم . وسلام عليكم لا يعد ولا يحصى .

وبعد قد وصل لعلمنا ان فى المغرب صار الخبر ان خروج الضباط العثمانيون من خدمتهم فى المغرب قد سببه تبريد المعاهدة والصحبة بين الدولتين العثمانية والالمانية . والآن نعلمكم ان كل ذلك هو آكاذب وان الدولتين المذكورتين يجتهدون الآن كما فعلوا فى الماضى جميع جهدهما لينصروا على أعداء الاسلام ، وكذلك أنهما شددوا معاهدتهما وصحبتهما بعقد جديد قد فرزوا فيه ما يكون فى المستقبل ، يعنى بعد كمال الحرب .

اما سبب خروج الضباط العثمانيون من المغرب هو أمر نفسيا ولم هو بشهادة ان خليفة المعظم يسمح فى اعانته لاستقلال المغرب . ولنظهر لسادتكم ان المخزن العثمانى لا زال على فكره فى استقلال المغرب . نعلمكم ان الوزير الحربى العثمانى سعادة وحضرة انفر باشا يرسل فى المواجبة الاولى ضباط عثمانيون جنود الذين بصحبة الضباط الالمانيون يعونون المسلمين ليحررهم من يد الفرنسيون دمرهم الله .

والآن جميع الاخبار الذين يصدرون فى صورة سمح المخزن العثمانى فى [illegible] المغربيون اوجب الدولة الالمانية ان يتملك المغرب الاقصى يكونون اخبار غير حقيقيين . ولا يخفى على سيداتكم ان كل ذلك يصدر من أعداء المسلمين ليبردوا نفوس المغربيون الذين يجاهدون لاستقلال وطنهم ولشرف [illegible]

اما نحن فعندنا الامر من مخزننا ان نتوقفوا جميع الوقوف من المغرب الى المغربيون يضربون أيضا (كلمة غير مقروءة) أعداء الاسلام وأعداء الالمانيين . فالمطلوب من سيداتكم ان تعلموا المسلمين بكل ذلك . جزكم الله خيرا . ويحفظكم فى هناء وسرور وعلى المحبة . والسلام .

مدريد فى 25 مايو عام 1916 .

سفير دولة الالمانية بمدريد **نائب دولة العثمانية بمدريد**

(ختم الدولة الالمانية بالشمع الاحمر) (ختم دولة الخلافة العلية بالشمع الاحمر)

الوثيقة رقم 4 :

شعر من الامير عبد المالك الى أسرة الامير عبد القادر بالشام

[illegible] كواكبا **نشرت أشعتها على الاكوان**
[illegible] والندى **رفعت منازلكم على كيوان**
[illegible] ومكارم **وهبت لكم من غابر الازمان**
[illegible] ملمة **هدمت عماد الدين والاوطان**
[illegible] كلها **فى غير ما نفع ولا احسان**

[illegible] — والوثيقة مليئة باخطاء لا تحتاج الى تنبيه .


الحمد لله وحده

دامت سعادة [illegible] الشريف البركة الأعز [illegible] المجاهد في سبيل الله سيدي عبد المالك
بن الأمير عبد [illegible] محيي الدين نصركم الله على عدوكم وسلام عليكم [illegible] وبعد
قد وصل لعلمنا أنه في المغرب صار الخبر أنه خروج الضباط العثمانيين من [illegible]
المغرب قد تسبب تبديد المعاهدة والمحبة بين الدولتين العثمانية والألمانية والآن نعلمكم
أن كل ذلك هو الكذب وأن الدولتين المذكورتين يجتهدون الآن كما يعملوا [illegible]
بجميع جهدهما لينصروا على أعداء الإسلام وكذلك إنما شددوا معاهدتهما ومحبتهما
بعاهد جديد [illegible] فيه ما يكون في المستقبل [illegible]
أما أسباب خروج الضباط العثمانيين من المغرب هو أمر بسيط ولا هو شهادة أنه
خليفة المعظم [illegible] في إعانته للاستقلال المغرب [illegible] أنه المخزن
العثماني لا زال [illegible] في استقلال المغرب نعلمكم أنه الوزير الحربي العثماني
سعادة وحضرة أنور باشا يرسل في المواجهة الأولى ضباط عثمانيون [illegible]
بصحبة الضباط الألمانيون [illegible] المسلمين [illegible]
وكذا جميع الأخبار الذين يصدرون في صورة [illegible] العثماني في إعانته [illegible]
أو حب الدولة الألمانية [illegible] المغرب الأقصى يكونون أخبار غير [illegible]
ولا يخفى على [illegible] أنه كل ذلك [illegible] أعداء المسلمين [illegible]
الذين يجاهدون للاستقلال [illegible]
[illegible] أن تتوقعوا جميع [illegible] المغربيين [illegible]
الإسلام وأعداء الألمانيون [illegible] المسلمين [illegible]
الله [illegible]
[illegible]

الشكل رقم 9 . رسالة من ممثلي الدولتين الالمانية والعثمانية بمدريد الى الأمير عبد المالك .

من الوثائق الشخصية للأمير حسن •

[illegible] وشموسكم أسد الحروب وقاهرى الاقران
[illegible] لكم فى فعله أعدى عدو من بنى الانسان
[illegible] عبد المجيد وفضله وضمانه ذاك الاسير العانى
[illegible] لم يطلق سراح سبيله وبقى لديهم فى نوى وهوان
[illegible] شوامخ مجدكم هذا لعمرى غاية الخسران

عن قبيلة غمارة .
[illegible] من اهل هذا الشأن ولكنها نفثة مصدور . والسلام عليكم .

14 ربيع ثانى 1338
عبد المالك

الوثيقة رقم 5 :

الى الامير عبد المالك من مجهول

[illegible] ان احيطكم علما بأن مطالبك مقبولة ما عدا تعديلا واحدا [illegible] يتعلق بنقطة خاصة ، وهى خطة سفرك .

[illegible] الشخصية السامية التى تعرفونها والتى جاءت حديثا تلح على أنكم [illegible] والرباط حتى يمكنكم تقديم تحياتكم الى المخزن بدون تاخير . [illegible] التسهيلات ستكون متوفرة لديكم لزيارة أسرتكم فى تطوان .

[illegible] الذى طلبتم حضوره كواسطة هو فى الطريق . ويجب عليه [illegible] الرباط لاخذ تعليمات من المخزن . وخلال أيام سيكون فى فاس . [illegible] الى هنا سيحمل اليكم الرسالة الحقيقية والرسمية التى [illegible] .

[illegible] اليكم مبعوثنا العادى لكى يطلعكم على الحوادث . وسيخبركم بأن [illegible] الايام الاخرى . وأتمنى ان يحل المشكل قريبا برضى الجميع .

[illegible] سبتمبر ، 1920

(بدون امضاء ولا جهة ارسال)

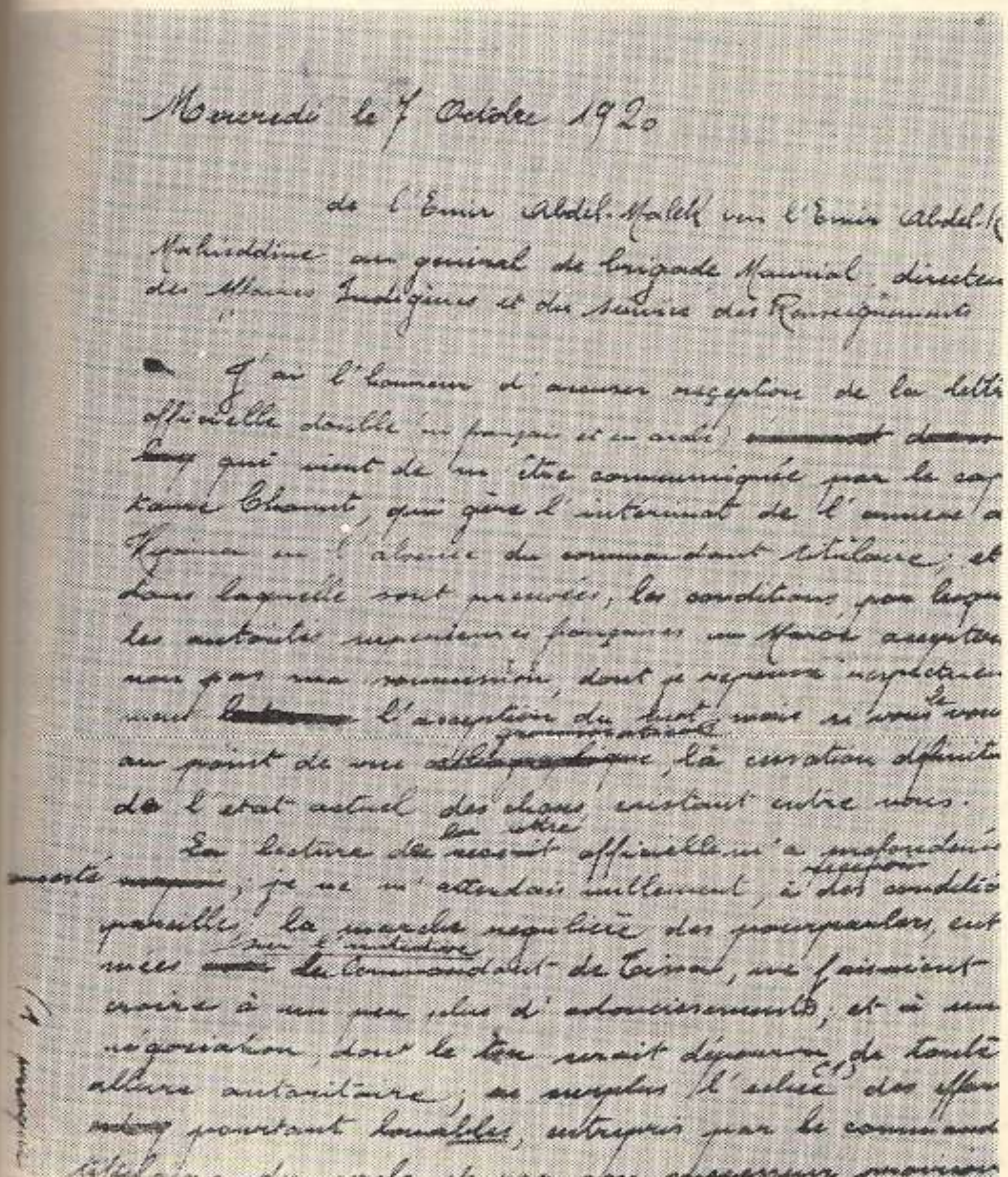
الوثيقة رقم 6 :

من الامير عبد المالك بن الامير عبد القادر محى الدين
الى الجنرال [illegible] مدير الشؤون الاهلية ومصالح الاستخبارات

الاربعاء 7 اكتوبر 1920

[illegible] بالرسالة الرسمية باللغتين العربية والفرنسية التى سلمها [illegible] الذى يتولى بالنيابة ملحقة الحياينية فى غياب الضابط [illegible] الرسالة التى تحتوى على توضيحات عن الشروط التى [illegible] السلطات العليا الفرنسية فى المغرب ليس استسلامى ، [illegible] قبولها بكل تقدير ، ولكن اذا شئتم من الناحية [illegible] النهائى للوضع الحالى الموجود بيننا .

[illegible] الرسالة الرسمية قد اقلقتنى لاننى لم اكن اتوقع أبدا [illegible] الشروط . فالمفاوضات العادية التى بادر بها الضابط [illegible] التوقع مزيدا من اللطف ، كما جعلتنى اعتقد فى مفاوضات [illegible] من كل دافع تحكمى، زيادة على ان الفشل الذى يكاد يكون


Mercredi le 7 Octobre 1920

de l'Emir Abdel-Malek ben l'Emir Abdel-K[illegible]
Mahiddine au général de brigade Maurial, directeur
des Affaires Indigènes et du Service des Renseignements

J'ai l'honneur d'accuser réception de la lettre
officielle double en français et en arabe [illegible]
qui vient de m'être communiquée par le capitaine Chamt, qui gère l'internat de l'annexe à
[illegible] en l'absence du commandant titulaire, et
dans laquelle sont précisées, les conditions par lesquelles
les autorités supérieures françaises au Maroc accepteraient
non pas ma soumission, dont je repousse respectueusement
[illegible] l'acceptation du [illegible] mais se vouent
au point de vue [illegible], la cessation définitive
de l'état actuel des choses existant entre nous.
La lecture de ce [illegible] officielle m'a profondément
[illegible], je ne m'attendais nullement, à des conditions
pareilles, la marche régulière des pourparlers, entamés [illegible] du commandant de Taza, me faisaient
croire à un peu plus d'adoucissements, et à une
négociation, dont le ton serait dépourvu de toute
allure autoritaire, au surplus l'échec des efforts
pourtant louables, entrepris par le commandant
titulaire du cercle et par son successeur [illegible]

الشكل رقم 10 . الصفحة الاولى من رسالة الامير عبد المالك الى الجنرال موريال ، مدير الشؤون الأهلية ومصالح الاستخبارات .

من الوثائق الشخصية للامير حسن .

حاليا للجهود التى بذلها الضابط المسؤول فى الدائرة وخلفه المؤقت الضابط
[illegible] قد سبب لى أسفا مريرا .
ان الشرط الذى بمقتضاه سأجبر على تحديد اقامتى فى مدينة تقع فى
المنطقة الفرنسية ستحـدد لى فيما بعـد ، والذى بمقتضـاه أيضا سوف لا
يسمح لى بتغيير الاقامة بدون اذن خاص ، يمس بشدة من حريتى . فأنـا لا
أرضى ان أعيش حياة أسير ولو معنويا .
وبالاضافة الى ذلك ، فان عزمى على مغادرة التراب المغربى أمر لا رجوع
فيـه .
أما عن دخولى من نقطة ما فى المنطقة الفرنسية فانه أمر يستحيل تحقيقه،
عمليا ، كما ان حياتى ستكون مهددة بأخطار جسيمة . لذلك فانه من الحكمة
[illegible] تفاديه .
وأما عن تلميحكم الى موضوع هذه الشروط التى هى فى نظركم سهلة
المنال ، ما دمتم قد ذكرتم لى بأنها لا تمنح لى الا بدافـع التسامح المتنـاهى ،
فانى اعتقد كما يعتقد الجميع ، أن التسامح والاريحية هما بصفة استثنائية
من شيم الجنس الفرنسى . وقد اثبتهما التاريخ مرارا .
لكن الذى مس كرامتى بشدة والذى ارفضه ترفعا واشمئزازا هو كلمة
« تمرد » التى لعلكم قصدتم بها وصف الدور النبيل والفروسى الذى لعبته
بصفوة خلال الخمس (سنوات) المـاضية من آجل قضية عزيـزة على نفس
[illegible] ومتلهفة للحرية والعظمة . واذا كان الحظ قد خاننى بعقوق
فانى لا آسف ولن آسف أبدا على ما فات . ولو كنتم مكانى حضرة الجنرال
لما تصرفتم بغير ما تصرفت . (؟)
لذلك أرجوكم ، حضرة الجنرال ، ان تسجلوا حالا الشروط التى سبق
ان عرضت لكم والتى سأعددها لكم مضيفا اليها شرطا سيكون مقبـولا بدون
[illegible] ، وهو الحصول على رخصة من السيد المقيم العـام بمغـادرة
التراب المغربى والاقامة فى اسطانبول (رومة ؟) ، وهذه الشروط هى :
1) العفو التام عنى بغض الطرف عن الماضى .
2) اعادة املاكى التى صودرت فى طنجة ، كما سبق لى ان ذكرت لكم .
3) سفرى الى الربـاط لا بد أن يكون عن طريق تطـوان ، اى لرؤيـة
عائلتى هناك قبل القيام بزيارتكم .
أرجو منكم ان تحيلوا من جديد ما ذكرته لكم الى السيد الجنرال ليوتى
[illegible] تخبرونى فى أقرب وقت ممكـن بقراره الاخير بواسطـة قائـد
[illegible] .
وتقبلوا ، حضرة الجنرال ، بقبول تقديرى .

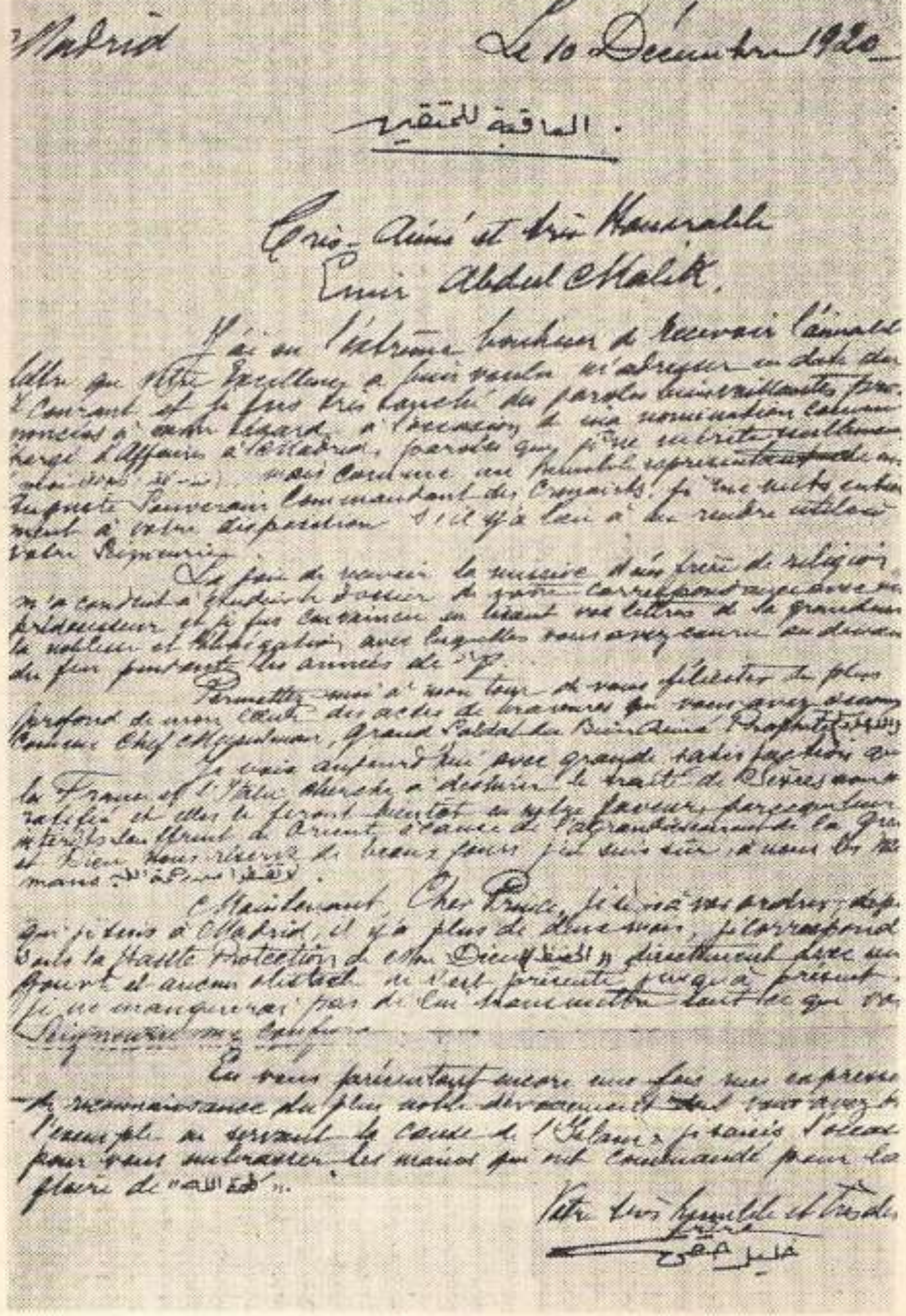
(بدون توقيع)

الوثيقة رقم [illegible] :

رسالة من القـائم بالاعمـال العثمـانى فى مدريـد
الى الامير عبد المالك

مدريد ، [illegible] ديسمبر 1920
(العاقبة للمتقيـن)

حضرة المحترم ، الامير عبد المالك :
[illegible] السعادة بتلقى الرسالة اللطيفة التى تفضـل جنابكـم



الشكل رقم 11 . رسالة القائم بالأعمال العثمانى فى مدريد الى الامير عبد المالك .

من الوثائق الشخصية للأمير حسن •

موجهـا الى بتاريخ السابع الجارى . وقد تأثرت كثيرا بالعبارات الرقيقة التى عبرتم بها تحـوى بمناسبة تسميتى قائمـا بالاعمال بمدريـد ، وهى العبارات التى لست أهلا لها مطلقـا (أنا ـ عبارة غير مقـروءة ـ) . ولكن باعتبارى ممثلا متواضعا لصاحب السيادة أمير المؤمنين فانى أضع نفسى فى خدمتكم اذا كنت فعلا أفيد جنابكم .

ان الفرحة التى غمرتنى نتيجة تلقى رسالة أخ فى الدين قد دفعتنى الى مراجعة ملف مراسلاتكـم مع سلفى . وقـد اقتنعت عند قـراءة رسائلكـم ، بالحكمة والنبل والتجرد ، هذه الصفات التى جابهتم بها لهيب المعركة خلال سنوات (الجهاد) .

واسمحوا لى ان اهنئكم بدورى من اعماق قلبى على المـواقف الشجاعـة التى وقفتموهـا كقـائد مسلم وجندى عظيم من جنـود الـرسول (صلى الله عليه وسلم) .

واليوم اسجل بارتياح ان فرنسا واطاليا تسعيان الى ابطـال « معاهدة سيفر » التى كانتا قد وافقتـا عليها وستفعـلان ذلك قريبـا لصالحنـا لان مصالحهما قد تضررت فى الشرق نتيجة توسع اليونان . واننى واثق من ان الله سيرزقنا اياما طيبة نحن المسلمين (ولا تقنطوا من رحمة الله) .

اما الآن ، يا حضرة الامير ، فاننى فى خدمتكم . فمنذ حلولى بمدريد ، أى منذ أكثر من شهرين ، وأنا اتراسل مباشرة ، برعاية الله (الحفيظ) مع حكومتى ، والى الآن لم تواجهنا عقبات . وسوف لا أتردد فى ابلاغها كل مـا يرغب فيه جنابكم منى .

وانى اذ اقدم لكم مرة اخرى أقصى عبارات الاعتراف باخلاصكم النبيل الذى يرتكز عليه بخدمة الاسلام ، اغتنم الفرصة لأقبل الايدى التى قـادت الى اعلاء (كلمة الله) .

أخوكم المخلص المتواضع

خليـل حقـى

الثقافة والسياسة الاستعمارية

انطباعات حول السياسة الاستعمارية الثقافية ذي المظهر الطبي في الوسط الاستعماري"

ايفون توران

ان العلــوم الاجتماعية وخاصة منها مجـلات علم الاجتمـاع الآن ، قـ
تنـاولت بكثرة درس « مظـاهر الاستعمار الثقافية » . لقد كان ذلـك عـاد
فأصبحت اليوم موضة كغيرها، ولهاته فوائدها ، غير انه فى كثير من الاحيان
نشعر بمجابهة هذا التيار وعدم الانسياق فيه ، وانه من الخطر ان تقـام فى
ميدان العلم مواقف تشبه المحرمات فى كثير من الاحيان .

واذا تركنا من جهة الصعيد المدرسى الاكثر قدما ومعرفة ، فاننا نحكـ
على المشكل الثقـافى الطبى ، والذى هـو أيضا التعبير عن ثقافـة ، كحالـ
الوخز بالابر (Acupuncture) الذى انتشر بفضل الثورة الثقافية الصينية
بكثرة وحيث يمتاز بالقاء الاضواء على متناقضات التحاليل ، وخاصة عندمـ
تكون موجزة حول مفهـوم الاستعمار الثقـافى ، ومع ذلـك نتساءل هـل اذ
كانت توجد سياسة استعمارية للجهل ؟ سياسة استعمارية تعمل على ابقا
الجهل هى اكثر سيطرة من غيرها .

ففى القــرن التاسع عشر ، كان الاشخـاص الذين تنـاولوا المسائـ
الثقافية ، يجهلون صيغ التصورات الثقافيـة الاستعمارية ، المدرسية منهـ
والطبية ، ولم تكن لهم اية عقدة لنشر معرفتهم .

ان ميدان الطب الذى يعد احد العلـوم المتميزة بصورة جليـة فى هـ
الظرف ، بالاهتمام العقـلانى لهذا العصر (1) ، قد بدا كاحد انتصاراتهـم
وانتشار الطب، مع الثقافة التى ينتمى اليها ، هو فى رأيهم مفيدا ، ولا يوجد
احد ، ليتخلص من هـذه المجازفة القهريـة ، من يعمل على القيـام بتحليـ
للمجهود الطبى حتى ولو كان ضعيفا ، ويرى فيه مجهودا عمليا او تعليميا .

وعلى مستوى التعليم ، كان انتشار الثقافة قد آثار بالتالى ، ليس فقط
مشكل انتشار الثقافة ، ولكن ايضا انتشار فن تقنى ، وهل يجب للتخلـص
من الاستعمار الطبى ، تجنب هذا الفـن بمنع انتشار التقنيات الطبيـة ؟ لا
يوجد ، ولا شك ، احد يفكر فى هذا فى القرن التاسع عشر .

وبامكاننا ان ننهى هذا الموجز السريع ، بذكر فقرة من خطاب الـوزير
صالفنــدى (Salvandy) سنـة 1846 والذى القـاه امـام جمع من الاطبـا
العسكريين بالجزائر . ان هذا النص يشرح كيف ان القرن التاسع عشر كان
مطمئنا الى فنونـه التقنية وفخورا بها وكيف انه كان يـأمل ان يستفيد مـ
ذلـــك .

(Acupuncture) : هو اصطلاح للطب التقليدي الصيني الذي يعتمد على الوخز بالابر في أماكن من الجسم يكون لها اتصال بالعلة (المعرب) .

(1) Cf. : Y. Turin. Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale. Ecoles Médecines, religion, 1830 - 1880, Ed. Maspéro, 1971.
Chap. 6. 2 parties : 1 — médecine et politique.
2 — Sciences et politique.

LETTRE DE MULAY M'HAMMED EL-WATIQ A PHILIPPE III D'ESPAGNE

(A.G.S. - Secretaria de Estado. Legajo 495. - ORIGINAL)
[Melilla], 29 cha'ban 1022 H/14 octobre 1613 J.C.

الحمد لله وحده
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى الكريم

السلطان الاجل الافضل الاعظم السلطان ذون فليب بن السلطان الاعظم السلطان ذون فليب رحمه الله كتبها الواقف بباكم الكريمة التى لا تخيب من قصدها محمد الواثق الشريف الزيانى ابن صاحب امارة المغرب الاوسط ولا زايد عدا مراعات قدركم العلى والاقرار ان مقامكم له علينا سابقية الفضل والاحسان كما سبق ذلك من والدكم رحمه الله السلطان الاعظم وهو لما أن وقع الاختلاف بين أبى وبين أعمامى فقصد منا من قصد للترك وقصدنا نحن لمقامكم الارفع اعنى مولاى أبو عبد الله شقيق والدى فلاقيتمونا بما هو معروف لكم من الفضل والاحسان والنصر لمن قصدكم الى أن أخذنا على أيديكم المقرب الاوسط فحرك علينا أيضا عمنا بالترك فانفصلنا لناحية مولاى عبد الله أخ مولاى أحمد وكان كيف آخذ الغرب هو ووالده مولاى محمد الشيخ وأخرجوا منه بنى مرين فلاقونا بقدر جهدهم وحركوا معنا الى أن مات مولاى عبد القادر أخ مولاى عبد الله وحضر لذلك خديمنا القايد منصور بن أبو غانم الى أن مات مولاى عبد الله وتولى مولاى أحمد وأما من تولى قبله لم تدم مدته ومات أبى فخلفت انا الحروب التى كانوا يحاربوا أهلنا مع الترك وجهزت لهم محلة فى حياة مولاى أحمد وأخذت لهم ناحية من البلاد وكان الحرب مرة علينا ومرة عليهم كعادة الايام وكنت مع مولاى أحمد كأحد أولاده على وجه الضيافة وكان لى نصيب فى طاعة المغرب من بلاد واقامة وغير ذلك وكانت لى معه قرابة لان بعض أولاده أولاد أخت أمى فلما مات مولاى أحمد انفصلت عن أولاده لعلمى بقلة عهدهم ولا يقع الأمان الذي كان بينى وبين والدهم فانفصلت فى طرف البلاد وتركت البلاد التى كانت على ذمتى فى حياة مولاى أحمد فجهزت حركة أخرى وعزمت على طراد العدو وأخذت لهم محلة فبينما أنا فى ذلك اذ آتانى كلام المرابط الذى أخذ مراكش الان وكان قراره فى صحراء بلادى وهو موضع يقال له بنبى جومى وكان مظن الخير والصلاح وهو محسوب من طاعتى فى القديم فعزمت علي لقائه على ذمة البركة والمناولة فاتفقنا أن يكون كلامنا واحدا هو للبركة ونحن لما هو معروف لنا من الامارة فتعاهدنا على ذلك حتى أنى ناسبته بالنكاح وجهزنا محلة اننا نبدوا على الامر الذى يليق بى من طراد أعدائى هم الترك فكان جوازنا على تافيلالت فغار من ذلك السلطان زيدان وبعث لنا محلة عظيمة .... (1) أنا بالطريق فهزمهم الله بين أيدينا ولم ينج من ذلك الجيش الا القليل ولا كان عندى أنا طرادهم رعيا لوجه أبيهم وما بيننا من القرابة فلما ان كان الغدر منهم هزمهم الله بين أيدينا ودخلنا مدينة

ان القرن التاسع عشر فى الغرب ، المحترز كثيرا ، قد قام باختيار بين [illegible] التى افضى بها وبين غيرها مما عمل على انتشارها ، كما انه بقى ، شأنه فى ذلك شأن علوم الذرة ، فى مأمن من المعاهدات .

اليكم خطاب الوزير الحازم وبدون تزويق : « مما لا شك فيه ان الحكومة تعترف لكم بجميل اخلاصكم فى معاملتكم للجنود ، غير ان لكم مهمة أخرى [illegible] انتم مدعوون الى القيام بها : وهى مؤازرتكم ، بقسط كبير ، فى [illegible] على ادخال حضارتنا فى بيئة القبائل العربية والبربرية : ان [illegible] سيكون ، ولا شك ، القادر على النجاح ، خلال السنوات الطويلة [illegible] — ومن جهتنا سنقوم بكل مجهوداتنا لنوفر لكم كل الظروف ، وسط [illegible] ، للعمل على نشر التعليم الطبى والذى سيصبح نافعا فى نفس الوقت للانسانية ولتثبيت قوتنا فى هذا البلد » (2) .

تعريب ع. التميمى

المساجين الجزائريون الأول

جزيرة سانت مرقريت 1841-1843

زافيي ياكونو

ارسل عدد كبير من المساجين الجزائريين خاصة فى عهد ملكية جويلة (Monarchie de Juillet) الى فرنسا ، وبالخصوص الى جزيرة سانت مرقريت (L'Ile Sainte Marguerite) القريبة من مدينة كان (Cannes) حيث اقام فيها المساجين السياسيون ذوو المكانة الكبيرة .

وقد درسنا حالة مجموعة من السجناء تتألف من ثمانين سجينا ، قدمنا صورة عنهم فى الجزء الاول من هاته الدراسة ، وهم على اية حال ، من مختلف الاوساط ، وقد حاربوا فرنسا أو أخذوا كرهائن ، على أن مدة سجنهم كانت عموما اقل من سنتين .

ومن بين هؤلاء المساجين ، اخترنا ثلاثة هم أكثر أهمية من غيرهم ، ليكونوا موضوع دراستنا ، وثلاثتهم من أعيان مدينة قسنطينة ، وهم على [illegible] بن عيسى ، خليفة الحاج احمد باى السابق ، والذى أصبح خليفة [illegible] وحكم عليه بـ 20 سنة اشغالا شاقة بتهمة تزييف العملة . اما [illegible] ابن عزوز الذى خدم عبد القادر ووقع سجينا فى أيدى الفرنسيين [illegible] شهرا بسانت مرقريت على الرغم من عروضه المتكررة لخدمة الحكومة الفرنسية . اما السجين الثالث فهو الحملاوى ، خليفة فرجوية السابق ، وعلى الرغم من الحكم الذى صدر ضده بـ 20 سنة سجنا ، فقد اطلق سراحه بعد اقل من ثلاثة عشر شهرا . هذا وقد كانت دراسة من [illegible] سراحه وكذلك لصالح على بن عيسى مفيدة .

تعريب ع. التميمى

(2) [illegible] (دار الوثائق الوطنية الفرنسية بباريس)

الاستعمار الرأسمالي الفرنسي وحركة الشباب التونسي 1881 - 1914

كمال صحون

ان الشعور الوطني التونسي من الوجهة التاريخية ، قد كان بادىء الامر متاثرا كثيرا بالشعور الديني المسلم حيث كان أهم داعية لـه الشيخ عبده ، ونظرا الى ان المسلمين لم يعرفوا كيف يكونوا اوفياء لروح الدين الاسلامي الاول فقد تمكنت الدول الكبرى من فرض سيطرتها على المسلمين على أن هؤلاء اذا قدروا على اصلاح مجتمعاتهم فانه بامكانهم الاستغناء عن مساعدة الاوروبيين .

اما الزيتوتيون المصلحون فقد انضموا الى هذا التيار الذى انتشر فى كامل العالم الاسلامى وقد انشأوا بالتالى مع الصادقيين جريدة **الحاضرة** التى تشتمل على اتجاهين للاصلاح : أحدهما اوروبى بينما كان الثانى يرى نشاطه فى اطار مذهبية الاسلام . وقد أخذ الشعور الوطنى التونسى اذن شكلا اكثر حساسية مع مولد هذه الجريدة ذات الاتجاه الاصلاحى : وهو بداية حركة ايديولوجية اتخذت هذه الجريدة وسيلة للتعبير عن آرائها . ونتج عن ذلك ظهور منظمات ثقافية تعتبر اول نتائج هذا الاتجاه الايديولوجي والذى لم يكن لديه بعد برنامج كفاح ضد دخول الرأسمال الفرنسى الى تونس . ان الاستعمار الرأسمالى كان أساسا ظاهرة حققت سيطرة (سياسية واقتصادية) دولة ذات اقتصاد رأسمالى مسيطر على دولة غير رأسمالية (أو ذات رأسمال ضعيف) .

ان نتائج السياسة الاستعمارية الفرنسية التى لم تكن خطيرة جدا فى السنوات الاولى من انتصاب الحماية ، قد أصبحت مقلقة : فالشباب التونسى قد أدركوا ان التطوير الصناعى الذى ادخل على البلاد التونسية كان لفائدة الاوروبيين فقط، وبالاضافة الى ذلك كانت تفتك من يد التونسيين كل وسائل التطوير ، فاليد العاملة التونسية لم تدرب فنيا والقليل النادر منهم تمكن من الحصول على تكوين فنى ، حيث خصص للاوروبيين فقط ، وحيث استولى هؤلاء على الاراضى التونسية . اما الصناعة التقليدية التونسية فهى الاخرى فى خسارة وتقهقر بسبب مزاحمة المنتوجات الاوروبية ، وعليه انشئت عدة جمعيات تجارية كانت تكافح ضد نتائج ادخال الرأسمال الفرنسى بتونس ، وقد ظهرت جمعية فلاحية أيضا لضمان التعليم التقنى للفلاحين .

ان هذه الحركة المذهبية لم تنشىء جمعيات ثقافية ، بل جمعيات فلاحية وتجارية ، ذلك ان المشاكل لم تعد فقط تنحصر فى مستوى الثقافة ، ان هذه الحركة المذهبية قد تحولت الى حزب وطنى تقدم ببرنامج عمل ، على ان هذا الحزب كان يعمل للتعاون مع سلطات الحماية التى ترغب ان تتبع سياسة الاشتراك بين العنصر الفرنسى والعنصر المحلى . ان حزب الشباب التونسى الذى تولد من حركة الشباب التونسى لم يفكر مطلقا فى القيام بنشاط كبير ضد سلطات الحماية ، ويفسر هذا بان الشباب التونسى كانوا ضحية

لتطورة التقدم البورجوازي ، وقد ظنوا ان فرنسا سوف تطبق في مستعمراتها مبادئ ثورة 1789 وبالاضافة الى ذلك كان أعضاء الشباب التونسي يعتبرون انهم غير قادرين على تنظيم الشعب لحركة من شأنها ان تعمل على القضاء على الاسس المذهبية والسياسية والاقتصادية للحماية .

فالشباب التونسي الذين ابتعدوا عن الشعب بسبب بيئتهم وثقافتهم الفرنسية ، قد فضلوا القيام بنشاط اصلاحي في اطار الحماية أيضا . وعندما ادركوا ان سياسة الاشتراك التي تنادي بها سلطات الحماية هي في الحقيقة خديعة ، قاموا باستغلال اضراب عمال سكك الحديد بتونس ، لتنظيم لجنة تشرف على الاضراب وتعمل على القيام بنشاط ضد الحماية ، ان وسائل العمل والحلول التي اقترحها الوطنيون التونسيون تتماشى مع متطلعات الشعب .

وقد استفاد علي باش حانبه الذي تأكد لديه تأييد الشعب من هذا الاضراب ليطلب انتخاب ستة عشر عضوا لحضور المؤتمر الاستشاري ، دون ان يتم تعيينهم من طرف المقيم العام ، ان اجراء الطرد الذي اتخذ ضد اعضاء الشباب التونسي الاكثر نشاطا وفعالية والذين نظموا لجنة الحصار، قد وضع حدا لنشاط الحركة الوطنية التونسية . الا ان الشباب التونسي قد نجح في انشاء تفكير سياسي تونسي ، كما أعطى معنى لانشاء حركة تأسيسية مستمرة مع الدستور وحزب الدستور الجديد والتي انتهت بالاستقلال السياسي للبلاد التونسية سنة 1956 .

تعريب ع. التميمي

العلماء التونسيون

وانتصاب الحماية الفرنسية على تونس 1881 - 1892

ارنلد هـ . قرين

ان العلماء المسلمين بتونس عموما ، لم يواجهوا الاحتلال الفرنسي بقوة السلاح، ما عدا بعض الزعماء الدينيين بالجنوب التونسي (وخاصة قابس) ، وبالاضافة الى هذا ، كان عدد قليل من العلماء قد عبر عن عدائه لانتصاب الحماية الفرنسية ، وذلك بتخليهم عن مناصبهم او الهجرة الى البلدان الاسلامية الاخرى . ومع هذا ففى نطاق امكانياتهم التاريخية لمعارضة السلطات السياسية ، حاول العلماء التونسيون مقاومة الاصلاحات التى تعطى امتيازات لفرنسا . ان هذه الاصلاحات ، على أية حال ، قد طبقت شيئا فشيئا ، وهذا من شأنه اضعاف دور العلماء تدريجيا . فمثلا فى ميدان التربية الاسلامية نجح لوى ماشوال (Louis Machuel) (مدير التعليم العام) فى السيطرة على الكتاتيب والمدارس القرآنية .

اما علماء الزيتونة فقد استطاعوا ان يمنعوا سيطرته ، كلية ، على الجامعة الاسلامية ، غير ان ماشوال استغل سلطته لتعيين متفقدين اثنين مساعدين عليها .

ومن جهة اخرى حددت سلطات الحماية ، دور العلماء فى ميدان العدالة بواسطة توسيع صلاحيات المحاكم الفرنسية ، وكذلك المحاكم التونسية اللائكية ، فبعد انشاء المجلس العقارى المختلط ، أصبحت محاكم الشرع لا تهتم الا بقانون الاحوال الشخصية الاسلامية .

ان هذه الاجراءات قد أثارت ، لدى أغلبية العلماء ، مشاعر ضد الفرنسيين حيث عبر عدد منهم عن ذلك فى مشروع الوحدة الاسلامية ، كما ان عددا قليلا من العلماء قد شايع افكار جمال الدين الافغانى ضد الاستعمار.

على انه يبدو ان محمد السنوسى الذى بالغ فى أهمية اتساع جمعية العروة الوثقى ودور انشائها بتونس ، فان جمعية مماثلة كانت توجد بالبلاد التونسية ، واذا وضعنا جانبا ، الشيخ السنوسى ، والشيخ سالم بوحاجب والشيخ احمد الورتتانى ، فان بقية اعضائها بقوا غير معروفين ، ولا نجد أية اشارة للدلالة على ان هذه الجمعية قد قامت هى الاخرى بالاحتجاج ضد بلدية تونس سنة 1895 .

ونظرا الى ان الذين يطالبون (وهم عموم التجار والعلماء) ممن يستعملون الاصطلاحات الاقتصادية والدينية ، ونظرا الى انهم يقبلون بأحقية انتصاب الحماية ، فانه لا يكون من الحذر اذا تحدثنا عن « حركة وطنية تونسية » فى هذا الظرف . وبالفعل ففى حوالى سنة 1888 كانت الطبقة المثقفة التونسية ، قد بدأت تهتم بمسائل الاصلاح بالتعاون مع الاحرار الفرنسيين، وهو ما عبر عنه بوضوح كتاب الشيخ محمد السنوسى الذى حرره للدفاع عن أحقية المجلس العقارى المختلط .

تعريب ع. التميمى

انضمام الاتحاد العام للعمال التونسيين
الى الفيدرالية النقابية العالمية

مصطفى كريم

ان النقابة فى تونس قد عرفت تقدما كبيرا تحت حكومة الجبهة الوطنية . وخلال هاته الفترة تكون عدد من النقابيين المكافحين ضمن اتحاد الولايات التابع الى الفيدرالية الفرنسية للعمل . ومن جهة اخرى عرفت هاته الفترة مولد النقابة التونسية المستقلة ، بفضل قانون اتحاد العمال التونسيين الذى احدث على يد قناوى ، وكذلك بفضل قانون فيدرالية الموظفين التى يديرها التونسيون .

لقد كان ذلك بفضل نقطة الانطلاق لمولد الاتحاد العام للعمال التونسيين الذى اعلن عنه اثر مؤتمر تأسيسى تم بتاريخ 20 جانفى 1946. وبالاضافة الى ذلك ، كان يوجد فى هذا الوقت بالبلاد التونسية :

1) اتحاد الولايات التابع الى الفيدرالية الفرنسية العامة للعمل .

2) الفيدرالية العامة للموظفين التونسيين والتى يديرها انطوان كولونا

3) الاتحاد التونسى للنقابيين التونسيين، الذى يعتبر نفسه منذ مبادرة الاتحاد العام للعمال التونسيين ، المنظمة الوطنية النقابية الوحيدة ، التى لها الحق فى تمثيل الطبقات الشعبية التونسية على الصعيد المحلى والعالمى، ولهذا السبب تقدم بطلب انتمائه الى الفيدرالية النقابية العالمية التى انشئت مؤخرا بباريس فى شهر سبتمبر – اكتوبر 1945 .

ان الفيدرالية النقابية العالمية ، تحت ضغط اعضاء الفيدرالية الفرنسية العامة للعمل والذين يتمتعون بتأثير كبير فى هذه المنظمة العالمية ، قد طلبت من الاتحاد العام للعمال التونسيين كشرط لانضمامه ، فتح محادثات مع اتحاد الولايات . الذى اصبح بعد المؤتمر المنعقد باكتوبر 1946 ، الاتحاد النقابى للعمال التونسيين ، وذلك لخلق وحدتهم النقابية .

قبل الاتحاد العام للعمال التونسيين اقتراح الفيدرالية النقابية العالمية حسب الشروط التالية :

- ان الاعضاء الذين سيتكون منهم مكتب مدير المنظمة المركزية يجب ان يكونوا تونسيين .
- وجوب اعتبار اللغة العربية ، اللغة الرسمية .
- ان المنظمة الجديدة الوحيدة يطلق عليها الاتحاد العام للعمال التونسيين .

غير ان هاته الشروط رفضت من قبل الاتحاد النقابى للعمال التونسيين، والذى تحصل خلال هاته المدة على انضمامه الى الفيدرالية النقابية العالمية. اما الاتحاد العام للعمال التونسيين، فسبب كراهية الفيدرالية الفرنسية له ، فقد لاحظ تاجيل انضمامه الى المنظمة من جلسة لاخرى حتى [illegible] ، الى ان قبل المكتب التنفيذى للفيدرالية العالمية ترشحه ، ذلك ان الاتحاد العام للعمال التونسيين اصبح قويا الى درجة فرض وجوده على [illegible] الوطنية وعلى الصعيد العالمى .

تعريب ع. التميمى

TABLE DES MATIERES

Partie française et anglaise

LETTRE DE MULAY M'HAMMED EL-WATIQ A PHILIPPE III D'ESPAGNE

(A.G.S. - Secretaria de Estado. Legajo 495. - ORIGINAL)
[Melilla], 29 cha'ban 1022 H/14 octobre 1613 J.C.

الحمـد لله وحـــده
ولا حـول ولا قـوة الا بالله العـلى الكريـــم

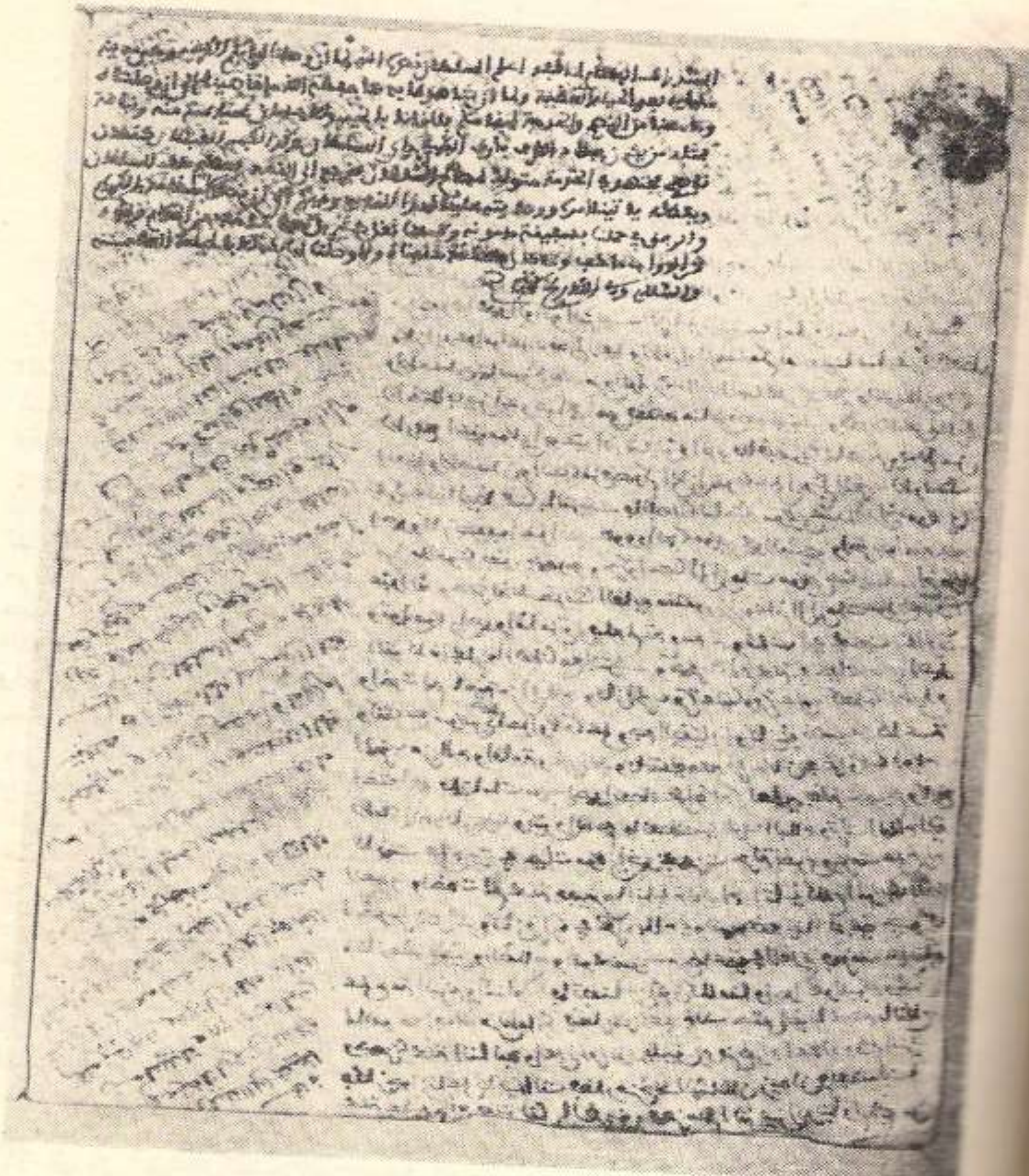
السلطان الاجل الافضل الاعظم السلطان ذون فليب بن السلطان الاعظم السلطان ذون فليب رحمـه الله كتبها الواقف بباكـم الكريمة التى لا تخيب من قصدها محمد الواثق الشريف الزيانى ابن صاحب امارة المغرب الاوسط ولا زايد عدا مراعـات قدركم العلى والاقـرار ان مقـامكم له علينـا سابقيـة الفضل والاحسان كما سبق ذلك من والدكم رحمه الله السلطان الاعظم وهو لـا أن وقـع الاختلاف بين أبى وبيـن أعمامى فقصد منـا مـن قصد للتـرك وقصدنا نحن لمقامكم الارفع اعنى مولاى أبو عبد الله شقيق والدى فلاقيتمونا بمـا هو معـروف لكـم من الفضل والاحسان والنصر لمـن قصدكـم الى آن أخذنا على أيديكم المغرب الاوسط فحـرك علينا أيضا عمنا بالترك فانفصلنـا لناحية مولاى عبد الله أخ مولاى أحمـد وكان كيف آخذ الغـرب هو ووالـده مولاى محمد الشيخ وأخرجوا منـه بنى مرين فلاقونا بقدر جهدهم وحركـوا معنا الى أن مات مولاى عبد القادر أخ مولاى عبد الله وحضر لذلـك خديمنـا القايد منصور بن أبو غانم الى أن مـات مولاى عبد الله وتـولى مولاى أحمـد وأما من تولى قبله لم تدم مدتـه ومات أبى فخلفت انـا الحروب التى كانـوا يحاربوا أهلنا مع التـرك وجهزت لهم محلة فى حيـاة مولاى أحمد وأخـذت لهم ناحية من البـلاد وكان الحرب مرة علينا ومرة عليهم كعادة الايـام وكنت مع مـولاى أحمد كأحـد أولاده على وجـه الضيافة وكان لى نصيب فى طاعـة المغرب من بلاد واقامة وغير ذلك وكانت لى معه قرابة لان بعض أولاده أولاد أخت أمى فلما مات مـولاى أحمد انفصلت عن أولاده لعلمى بقلة عهدهـم وإلا يقع الأمان الذي كان بينى وبين والدهم فانفصلت فى طرف البـلاد وتركت البلاد التى كانت على ذمتى فى حيـاة مولاى أحمـد فجهزت حركـة أخـرى وعزمت على طراد العدو وأخذت لهم محلة فبينما أنا فى ذلك اذ آتانى كـلام المرابط الذى أخذ مراكش الان وكان قـراره فى صحراء بلادى وهو موضـع يقال له بنبى جومى وكان مظن الخير والصلاح وهو محسوب من طـاعتى فى القديم فعزمت علي لقائه على ذمـة البركة والمناولة فاتفقنا أن يكـون كلامنـا واحدا هو للبركة ونحن لما هو معروف لنا من الأمارة فتعاهدنا على ذلك حتى أنى ناسبته بالنكـاح وجهزنا محلة اننا نبدوا على الامر الذى يليـق بى مـن طراد أعدائى هم الترك فكان جوازنـا على تافيلالت فغار من ذلك السلطـان زيدان وبعث لنا محلة عظيمة .... (1) أنا بالطريق فهزمهم الله بين أيدينا ولم ينج من ذلك الجيش الا القليل ولا كان عندى أنا طرادهم رعيا لوجه أبيهم وما بيننا من القرابة فلما ان كان الغدر منهم هزمهم الله بين أيدينا ودخلنا مدينة

(1) Blanc dans le texte.



Pl. I. *Lettre de M'hammed El-Watiq au roi Philippe III.*

A.G.S. — Secretaria de Estado. Legajo



Pl. II. *Suite de la planche n° 1.*

تافيلالت واحتوينا على المحلة التى أخذنا بكل ما فيها فلما تمكنا من البلاد ظهر لى المرابط أنه يريد الامر لنفسه ويميل الى نقض العهـد فانفصلت عنه ببعض الجيش طالبا السلامة فلما انفصلت ورأىأنه يردوا عليه الناس آمر الامارة ادعى بالجهاد وأنه يقصده قتال السواحل فلما وصلنى ذلك حلفت لا بد لى من مقام السلطان ذون فايب فى ذلك البر فعزم المرابط المذكور على آخذ مدينة مراكش اضعف ما فيها وهو السلطان زيدان فهزمـه المرابط وتولى مراكش وانهـزم السلطان زيدان بعد أن حـارب مرارا ولكن قد ضاع ما كان معـه من الجيش والمحال والقـوة فرجعت انا الى ما سلف لنا عند المقـام العلى مقامكم فعزمت على القدوم لبابكم بعد الحيلة فى ذلك لان الناس لا يظنوا منى أن نقدم اليكـم نصركم الله فها أنا وصلت لبابكم لمدينة مليليـة حرسها الله ونصركم فيهـا أنا الان طالب من مقامكم العلى أمركم المطـاع تامرلى بالقدوم على بابكـم لكى نبدل ما معى من النصيحة والخدمـة لمقامكم العلى ولكريم سلطانكم بى حاجـة على قدر جهدى وتحمد أن شاء الله خدمتى وأمـا أهل الغرب كلهـم يتحيروا من قدومى على بابكـم وأما ملـك المغرب الاوسط ما معروف الا لنـا الى أبى وجدى لنا فيه ثلاثة مائـة سنة وسبعة وخمسين سنة والا كان فى المغـرب الا ملوك بنى زيان وهم نحن الى أبى الى الآن والا ملوك بنى مرين وكان ملكهم من فاس الا مراكش نحن من فـاس الا الجزائر الى الان فنحن قصدنا بابكـم الكريم على عين أهـل المغرب كافة نطلب من فضلكـم أمركم بالقدوم اليكـم وعند وصولى تظهر لكم نصرك الله النصح والمحبـة والخدمة السالمة من كـل غش والله ينصرك والسـلام ... تاسع و ... (2) اثنين وعشرين

استدراك الكلام لما قبله اعلم السلطان نصره الله لما أن وصلنا لبابكم الكريمة

وهى مدينة مليلية بعد الحيلـة العظيمة ولما أن شاهد قايدها حفظه الله ما قاصينا الى أن وصلناه وما معنـا من النصح والخدمة لمقامكم فلاقانا بالخيـر والاحسان سياسة منـه ونباهة فمثله من يكون ببـلاد الطرف بـارك الله فى راى السلطان وكذلك القبطان كنطان ناصح مجتهد فى الخدمة متوله لمصالـح السلطان فنرجع الى القصد بعظيـم ملك السلطـان وبفضلـه ياتينـا أمـره ووصايته علينا لهذا القـايد وغيره الى أن نصلوا مقامه الكريـم والرفـق فى حملنا بسفينة مامونة ولا معنا ثقل كثير بل معنـا ما خف من الخـدام وشىء من الـدواب ما خف وما كان معنـا قد خلفنـا ولا وصلنا لبابـك الا بالحيلـة العظيمة . والسـلام

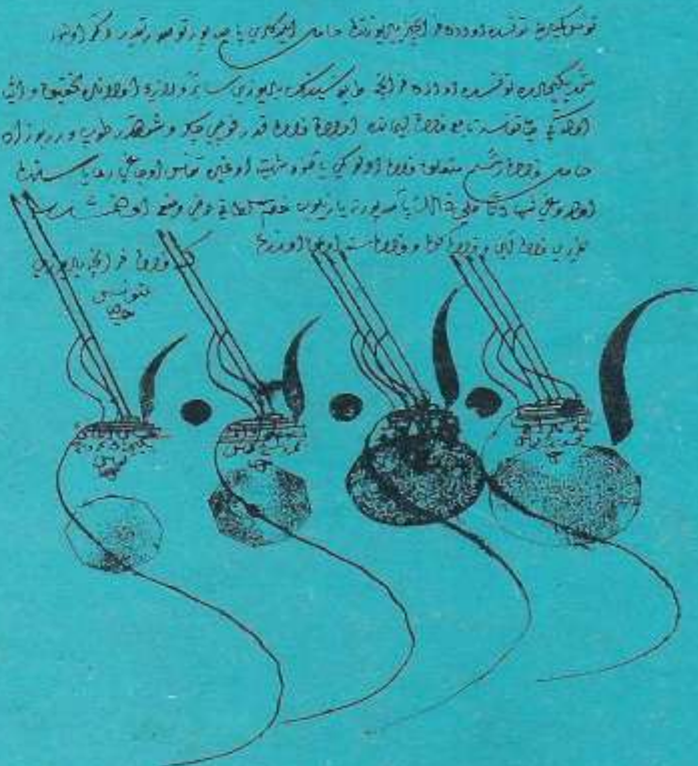
وفى التاريخ كتـب (3)
تاسع و ... اثنين وعشرين ....

---

(2) Nous connaissons la date grâce à la traduction espagnole : 29 cha'ban 1022 H.
Le texte a été rendu illisible à cause du cachet.

(3) L'intaha termine la lettre; à gauche de la formule de corroboration finale.
Se reporter infra, p. 68, n. 11. Généralement on trouve les termes de cette formule dans le sens inverse.

REVUE D'HISTOIRE MAGHREBINE



N° 1

JANVIER/JANUARY 1974

TUNIS

نرجوا من الله القبول

ومنكم الدعاء